جامعة غرداية

كلية العلوم الاجتماعية، والإنسانية

قسم العلوم الإنسانية

الأمير عبد القادر الجزائري

والبعد الإنساني لشخصيته 1832 – 1883

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة ماستر

تخصص تاريخ حديث، و معاصر

إعداد الطلبة:

- مصطفى خروس
- نصيرة شحيمة

تحت إشـــراف:

د. الشافعي درويش

أعضـاء لجنـة المنـــاقشة

د. بن قايد عمـــر – رئيساً

د. بن قومار جلول– مناقشاً

الموسم الجامعي

1438/1439هـ – 2018/2017م

الإهداء

بسم الله الرحمان الرحيم

﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [الآية:

صدق الله العظيم

إلى من علمنا العطاء بدون انتظار

إلى من نحمل أسمائهم بكل افتخار

نرجو ا من الله أن يمد في أعمارهم ليروا ثمارا قد حان قطافها بعد طول انتظار

إلى الوالدين الكريمين.

إلى روح أختي الشهيدة

إلى ربيعة.

إلى زوجتي الكريمة

و إلى ابنتي رحاب

والى من بسببهم ننال رضى، ورحمة رب العالمين

إلى الأصدقاء، والأهل، والمقربين

إلى مطلع المعجزات، وحجة الله في الكائنات

إلى من انحنى عند قدميها الطغاة

إلى بلدي الجزائر

مصطفى

الإهداء

إلى التي حملتني في جوفها وهنا على وهن

و منحتني عطفها و حنانها

و علمتني كيف أخط حروف إسمي

و تحملت لأجلي و كابدت معي الصعاب

إلى روح أمي الغالية رحمها الله.

إلى الذي آثرني على نفسه و كان سببا في إعدادي و تكويني

و علمني حب الوطن من الإيمان إلى أبي الحبيب

إلى الأرواح البريئة و الدماء الزكية إلى الشهداء الصالحين

إلى المرابطين الصامدين على أرض الرباط بأرض فلسطين

نصيرة

شكر

لا بد لنا، ونحن على أهبة التخرج من وقفة نعود إلى أعوام قضيناها في رحاب الجامعة مع أساتذتنا الكرام الذين قدموا لنا الكثير باذلين بذلك جهودا كبيرة في بناء جيل الغد لتبعث الأمة من جديد

وقبل أن نمضي نقدم أسمى آيات الشكر، والامتنان، والتقدير، والمحبة إلى الذين حملوا أقدس رسالة في الحياة

إلى الذين مهدوا لنا طريق العلم، والمعرفة

إلى من وقف على المنابر، و أعطى من حصيلة فكره لينير دربنا

إلى جميع أساتذة غرداية في قسم التاريخ

الدكتور الشافعي درويش الذي تفضل بالإشراف على هذا البحث والذي لمسنا منه كل التعاون و التفهم و الصبر رغم ارتباطاته و انشغالاته العلمية و المهنية، فجزاه الله عنا كل خير فله منا كل التقدير، والاحترام.

نشكر السادة الأساتذة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة:

لا يفوتنا أن نشكر عميد كلية العلوم الإنسانية، والاجتماعية الدكتور صالح بوسليم الذي أفادنا بنصائحه، ومراجعه

. الدكتور فوزي السعيد، وزناتي عمار الذين تحمسوا لموضوع البحث من البداية، وشجعونا على بحثه، ودراسته.

.، والدكتور بن قايد، والدكتور بن قومار جلول اللذان فتحا لنا شهية الموضوع، وبفضلهم تبلورت فكرة الموضوع لدينا

.، وجميع الأساتذة الذين ساهموا من قريب، وبعيد ، ولو بكلمة نشكرهم جميعا .

لائحة الرموز والمختصرات

القسم العربي

الرمز	المعنى
ص	صفحة
ص ص	صفحات عديدة
ط	طبعة
ج	جزء
د ت	دون تاريخ
تر	ترجمة
تحق	تحقيق
د. ط	دون طبعة
مج	مجلد
تعر	تعريب

القسم الفرنسي

Page	P
Page continue	P P
Tom	T
Sans Edition	S. ED
Sans date	S. D
Traduction	TRAD
Edition	ED

مقدمة

مقدمة

1. التعريف بالموضوع:

تعامل الأمير عبد القادر مع الفرنسي المعتدي . بما يمليه عليها الضمير الإنساني، متقيدا بالواجبين الديني دفاعا عن الأرض الإسلامية، والوطني محاربا الروح القبلية، والعشائرية المفرقة، والمشتتة لصفوف سكان البلاد ، وظهرت محاولات الأمير عبد القادر في طرح مشروع بناء دولة مركزية لا مكان فيها لحكم القبيلة أو العشيرة غارسا الشعور الوطني في كل نفس ، وشبر، مقاوما للمشروع الاستدماري بالسيف، والقلم في ظل التحديات، والرهانات السياسية العسكرية والسوسيولوجية، والقبلية، المعقدة، والمتشابكة، التي اصطدم بها المشروع الإنساني، والحضاري للأمير عبد القادر ، كان لزاما أن تتعامل عبقرية رجل بحكمة، وتوءدة هيأتها الظروف الاجتماعية، والثقافية منذ سنة 1808م معها .

بغض النظر عن كون الأمير عبد القادر، يحمل القابا سياسية، وعسكرية، ودينية فإنه إنسان، تشبع بالقيم الإنسانية التي يدعو لها كل دين في العالم، لتبلور لنا عنوانا عريضا يصلح لكل زمان، ومكان، وميدان ألا، وهو الأمير عبد القادر الجزائري، والبعد الإنساني لشخصيته 1832. 1883.

2. الاطار الزماني و المكاني للدراسة:

إن اختيار الإطار الزمني، والجغرافي لهذه الدراسة مرتبط بدور هذه الشخصية الوطنية التي فرضت نفسها بقوة في الداخل، والخارج، منذ إعلان المشروع الوطني الهادف إلى تحرير الإنسان، والبلاد من براثن العدو الفرنسي، بداية من 1832مرورا بأسر حامل لواء المقاومة الوطنية، ونفيه إلى فرنسا، ثم تحريره، وإقامته بالمشرق أين وافته المنية هناك بسوريا 1883 م تاركا بصمات البطولة، والرجولة، هذه البصمات قليلا ما يحفل بها التاريخ بفضلها تحول الأمير عبد القادر إلى رمز اجتمعت عنده ملامح النبوغ، والاكتمال.

3. دوافع اختيار الموضوع:

اتجهنا لدراسة موضوع الأمير عبد القادر الجزائري، والبعد الإنساني لشخصيته 1832.1883 بدوافع معرفية ذاتية بحكم تخصصنا في التاريخ الحديث، والمعاصر، وإصرارنا على التطرق إلى هذه الشخصية الوطنية التي تشكل حلقة ضمن سلسلة أبطال الأمة الجزائرية، وإبرازها في صورتها التاريخية الحقيقية التي ما فتئت اليوم تتعرض للتشويه، والتزييف، والتحريف.

ـ إلا أن هناك دوافع موضوعية نذكرها، وهي:

ـ إثراء ودعم البحوث، والدراسات حول مسالة الحوار بين الذات، والآخر المطروحة اليوم بشدة، وإلحاح، عن طريق إبراز الشخصية العالمية للأمير عبد القادر الذي ارتبط اسمه بالحوار، والتعايش أثناء فترة الاحتلال الفرنسي.

ـ استجابة لجهود الدولة، ومؤسساتها الرامية إلى نفض الغبار عن تاريخ الشخصيات الوطنية، وتخليد أبطالها.

ـ المحاولات اليائسة لتقزيم شخصية، ودور الأمير عبد القادر في بعض الكتابات

ـ المواقف، والآراء الغربية السلبية في بناء مفهومهم للآخر انطلاقا من خلفيات عقائدية محضة وإعطاء المفهوم الإسلامي الصحيح للآخر.

4. أهداف الدراسة: يمكن تلخيص أهداف هذا البحث فيما يلي:

ـ تسليط الضوء على البعد الإنساني لشخصية الأمير عبد القادر الجزائري

ـ التعرف على مدى مساهمة الأمير عبد القادر في إغناء، وإثراء الفكر الإنساني

ـإبراز بصمة الجزائر، ودورها في تراث الإنسانية من خلال الأمير عبد القادر.

5. الإشكالية المطروحة:

أثار الأمير عبد القادر عدة إشكاليات حيا، وميتا ولدت للباحثين، والمهتمين بالتاريخ همًا معرفيا، وكان البعد الإنساني لشخصيته إحدى هذه الإشكاليات التي فرضت نفسها علينا لمعالجتها، ومناقشتها، والمتمثلة فيما يلي:

فيم يتمثل البعد الإنساني لشخصية الأمير عبد القادر؟ ماهي ملامح النزعة الإنسانية في فكر، وسلوك هذه الشخصية الوطنية؟ وكيف احتفى العالم بها نظير بطولاته الإنسانية؟

ولتبسيط، وتسهيل مسار الدراسة قسمنا هذه الإشكالية إلى أسئلة فرعية:

ما الذي ساهم في بناء، وتكوين الشخصية الإنسانية للأمير عبد القادر؟

وماهي محددات الشخصية الأميرية التي تميزت بالسماحة، والاعتدال، والانفتاح نحو أعدائه؟

فيم تجلت الطبيعة الإنسانية من خلال أفكاره، ومواقفه، وعلاقاته، ومعاملاته في داخل الجزائر، وخارجها؟

إلى أي مدى أثرت استثنائية الأمير في حربه، وسلامه في الأخر؟

وكيف يقرأ العالم اليوم الصفحة المشرقة من تاريخ هذا البطل الجزائري، والعربي المسلم؟

6. الدراسات السابقة:

أمام الكم الهائل من الكتب التي تحدثت عن الأمير عبد القادر خاصة من الجوانب العسكرية، والسياسية، والإدارية، لم يكن بوسعنا إلا انتقاء ما يهمنا في موضوعنا الذي يثير الجانب الإنساني، وما وجدناه كان متناثرا هنا، وهناك بين طيات المصادر، والمراجع التاريخية خاصة، وأن الدراسات السابقة لم تركز كثيرا على الجوانب الإنسانية، والروحية لشخصية الأمير عبد القادر ، ولم نعثر إلا على بعض المقالات في مجلات أو التي عرضت في ملتقيات، ومؤتمرات إلا أن هناك رسالتي تخرج أثارت مسألة روحانية الأمير، وأبعادها، وفلسفة الاختلاف عنده نذكرها، وهي :

- **البعد الروحي لمقاومة الأمير عبد القادر الجزائري**، وهي مذكرة ماجيستر للطالبة عائشة بن ساعد من جامعة الجزائر، التي نوقشت سنة 2009 بكلية العلوم الإنسانية بجامعة وهران.
- **فلسفة الاختلاف عند الأمير عبد القادر الجزائري**، دراسة أنثروبولوجية، مذكرة ماجستير من كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية من جامعة أبي بكر بلقايد للطالب فرعون أحمد من جامعة تلمسان، وبالتالي سعينا إلى تقديم مساهمتنا في هذا الموضوع الذي سيتناول النزعة

الإنسانية في شقيها النظري الفكري، والعملي السلوكي نحاول أن يكون عملا كاملا متكاملا في هذا الجانب.

7. المنهج المعتمد في الدراسة:

انطلاقا من أن طبيعة الموضوع، وحجم المعلومات المتوفرة تتحكمان في منهج الدراسة التاريخية، وبما أن موضوعنا عبارة عن بحث تاريخي، والذي يعني تسجيل، ووصف للأحداث الماضية، والوقائع، وتحليلها، وتفسيرها على أسس منهجية علمية دقيقة لفهم الحاضر، والمستقبل، فنوعية معالجة البحث ستتطلب إتباع المنهج التاريخي، وذلك لوصفنا للأمير باعتباره ظاهرة تاريخية، وسياسية، وعسكرية، وروحية، ودينية، والمنهج التحليلي .، وذلك لحاجتنا لتحليل أفكار، وكتابات، ومراسلات الأمير عبد القادر.

8. الخطة المعتمدة:

وتبعا للمنهج المعتمد جاء الهيكل العام للبحث كالآتي:

مقدمة عرفنا فيها بالموضوع المتناول، وعرض أهم الدوافع، والأهداف المتعلقة بالبحث، وتبيان المنهج، والدراسات السابقة مع توضيح لأهم المصادر، والمراجع المعتمدة، وخطة البحث المدروس.

ثلاث فصول:

- ففي الفصل الأول تم التطرق فيه إلى تقديم نبذة تاريخية مختصرة عن الأمير عبد القادر من خلال، ولادته، ونشأته، ومصادر تعليمه، وتجربته في الحرب ضد الفرنسيين.
- أما الفصل الثاني فركزنا فيه على الجانب الفكري، والنظري في شخصية الأمير عبد القادر، وذلك بإثارة مفاهيم الإنسان، والإنسانية لديه ولدى بعض الفلسفات، والمذاهب، ونظرة الأمير للأخر، إضافة إلى شرح فلسفة الأمير فيما يخص مسالة الروح، والنفس، والعقل.
- ويبقى الفصل الثالث خصصناه لتجليات الإنسانية لدى الأمير عبد القادر: والذي تناولنا فيه علاقاته مع الأخر، ونظرة هذا الأخير للأمير، وختمنا البحث بخاتمة جمعنا فيها أهم استنتاجاتنا التي توصلنا إليها.

9. نقد المصادر، والمراجع المعتمدة:

اقتضت مني هذه الدراسة التاريخية الاعتماد على مصادر، ومراجع تاريخية معروفة، ساعدتنا كثيرا في تناول فلسفة الإنسان لدى الأمير، ونظرته للآخر، وكتاب تحفة الزائر وهي:

- **حياة الأمير عبد القادر** لهنري شرشل الذي يعد مصدر اجنبي لكنه تعرض لكل جوانب حياة الأمير، وقد ترجمه أبو القاسم سعدالله.
- **طلع سعد السعود** للمزاري، والقول الأوسط للشقراني الراشدي، اللذان يعدان مصدران مهمان في تأريخ حياة، ومقاومة الأمير.
- **ذكرى العقل، و تنبيه الغافل** للأمير عبد القادر، وهو مصدر مهم اعتمدنا عليه كثيرا من خلال مواقف، و آراء الأمير عبد القادر في بعض القضايا، و العلوم.
- **المواقف الروحية و الفيوضات السبوحية** للأمير عبد القادر، الذي أسهب في الحديث عن الجانب الإنساني و المدينة الإنسانية، و اعتمدنا عليه كثيرا في الفصل الثاني.
- **تحفة الزائر** للأمير محمد ابن عبد القادر الجزائري، وهو أحد المصادر الأساسية التي لا غنى عنها للباحث في تاريخ الأمير عبد القادر.

وبعض المصادر الأجنبية خاصة الفرنسية التي كتبت عنه، وقد أهملت الجوانب الروحية، والإنسانية ، وركزت على النواحي العسكرية، والسياسية خاصة. من بينها:

- **مراسلات القنصل ديماس.**
- **كتاب** Alex Bellmere: **abdelkader, savie politique et militaire** .
- Azan, P**: cahiers du centenaire, de l'algérie** .

وغيرهم كما كتب عنه الأوربيون :

- **رحلة بير بروجير أدريان.**
- **الأمير عبد القادر لبيرنت يوهان كارل.**

إضافة إلى مراجع حديثة بالعربية، والفرنسية، وكذلك عدد معتبر من المقالات العلمية الثرية الصادرة عن عدة مجلات ومنها:

- **التواصل الثقافي بين الجزائر و المشرق العربي، في مجلة الباحث.**
- **هل يعتبر الأمير عبد القادر مجددا فلسفيا و صوفيا؟ في مجلة المواقف للبحوث، والدراسات في المجتمع، والتاريخ.**
- **أقاليم الروح في التصوف الإبداعي و الإبداع الصوفي عند الأمير عبد القادر، في مجلة مقاليد.**
- **قراءة في أسس الحكم الراشد في دولة الأمير عبد القادر، في مجلة الحقيقة.**

إضافة إلى أعمال الملتقيات، والمؤتمرات المتعلقة بدراسة الأمير عبد القادر، والتي ناقشت بعضها الدور الإنساني بشكل موجز، والبعض الآخر تعرضت للجانب الصوفي، والروحي له.

10. صعوبات البحث:

ركزت الدراسات السابقة ركزت على الجوانب الإدارية، والعسكرية، والسياسة للأمير، وهي على كثرتها عبد القادر فإننا عملنا على تذليل بعض الصعوبات البحثية التي صادفناها في طريقنا، ومنها: صعوبة قراءة بعض الوثائق الأرشيفية المدونة بالخط العربي وعدم القدرة على السفر إلى كل مراكز الأرشيف، والمكتبات بحكم ارتباطنا بالعمل إضافة إلى نظام المكتبات الذي لا يساعد أحيانا كثيرة الباحث، والطالب في إنجاز بحثه على أكمل وجه، وفي الوقت المناسب.

كانت الخاتمة متضمنة لدلالات، وملامح بطل الإنسانية الذي جعل من روحانيته عالما خاصا به يعلو على عالم المادة الذي اعتزله، وجعله هدفا لبث روح الإنسانية فيه، ولتتحقق الفائدة دعمت الدراسة بملاحق هامة، وفهارس تسهل عملية القراءة، والبحث.

إن مساهمتنا هذه نعدها محاولة متواضعة في ميدان البحث لتسليط الأضواء على شخصية صنعت الحدث التاريخي، وشغلت الصديق، والعدو، ومازالت تملأ صفحات الكتب، والمجلات، وهي جديرة بأن تتسابق الأقلام التاريخية لإحيائها، وتقديمها في أحسن حلة تلبية لضمير الإنسانية.

الفصل الأول

نبذة عن حياة وشخصية الأمير عبد القادر

1. محطات مهمة من حياة الأمير عبد القادر قبل مبايعته

2. خلفياته الدينية والثقافية

3. مميزاته الشخصية

4. خبرته في الحرب

1. محطات مهمة من حياة الأمير قبل مبايعته بإمارة الجهاد:

لكل وطن رجالاته، وزعمائه، وقياداته، وضعوا بصماتهم في صفحات التاريخ، والجزائر كغيرها من الأوطان حفلت بأبطال صنعوا أروع الملاحم ضد الغزاة الذين احتلوها بداية من عهد الرومان، ونهاية بعهد الفرنسيين هذا الأخير الذي بزغ فيه نجم قائد، ورائد مقاومة شعبية ألا، وهو عبد القادر بن محي الدين.

أ. ولادته:

ولد الأمير عبدا قادر في زمن اتسم بالتكالب الأوروبي على دول المغرب العربي، لاسيما، وان الجزائر عانت من محاولات تطبيق مشاريع الاستدمار الأوربي، والذي، وظف كل آلياته وادواته، وسخر على ما يقدر من موارد، وإمكانيات للاعتداء على الجزائر، وبعد التنافس الأوربي المسيحي المستعر للنيل من بلادنا لمدة ثلاث قرون استطاعت فرنسا أخيرا إن تحكم قبضتها الحديدية على هذه الأرض.

ويتفق معظم المؤرخين على أن عبدا لقادر ولد يوم الجمعة في الثالث، والعشرين من رجب 1222هـ/ الموافق لشهر ماي 1807 م [1] أمه السيدة الزهراء، وأبوه الشيخ محي الدين في قرية القيطنة[2] التي تبعد 28 كلم عن مدينة معسكر، والتي كانت مقصد لطلاب العلم، وقد اختط جده هذه القرية على سفح جبل إستنبول على الجهة اليسرى لوادي الحمام. [3]

---

[1] هنري شارل تشرشل: **حياة الأمير عبد القادر**، تر، وتحق أبو القاسم سعد الله، ط1، مطبعة الدار لتونسية للنشر ,197 ص15

[2] ناصر الدين سعيدوني: **عصر الأمير**، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري الكويت، 20، ص155.

[3] Le jeune Abdelkader est né dans cette zone intermédiaire entre le tell, sous influence maritime et les hauts plateaux dans une région dite des plaines intérieures ; c'est une région bien arrosée, Rich, mais froide l'hiver et très chaud l'été. Abdelaziz ferrah : **le tem d'une halte**, **rencontre avec l'emir Abdelkader**, apic,2004, sed, p29

ب–نشأته وتربيته:

كان الأمير يتميز بخصائص جسمية كامتلاء الجسم، واعتدال الطول، والشعر الكثيف، والأسود وحدّة، ونفاذ النظر، والبراعة في تصريف الأمور [1].

تربي الابن عبد القادر في بيئة دينية، وروحية محافظة، تحت رعاية اهتمام والده محي الدين الذي توسم فيه علامات النبوغ، والقيادة فيما بعد، ولم تكن لتحصل إلا بعد مرور هذا الابن بتجربة تربوية، وتعليمة ناجحة على يد علماء وفقهاء منطقته [2]في عهد كان يشهد تخلف علمي، وجمود ثقافي، وتشرذم سياسي، وانفلات اجتماعي، وتوسع عسكري استيطاني نحو الداخل انطلاقا من سواحل الجزائر.

كان هذا الولد يتفاعل، ويتأثر بتيار الأحداث السريع ، والداهم الذي يستهدف هدم ، و تدمير كل البنى السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية القائمة في البلاد، وانطلاقا من منطقته فتح عيونه على مأساة بلده، وإخوانه، فكانت زاوية أبيه محي الدين مصدر تعلمه، وتفقهه في بعض العلوم الدينية، واللغوية على يد والده في سن مبكرة :"... **فقد كان يقرأ، ويكتب عندما كان سن الخامسة من عمره، وقد اصبح طالبا عندما كان في الثانية عشر من، أي أنه في هذا السن كان متمكنا من القرآن، والحديث، وأصول الشريعة، وبعد سنيتن حصل على تسمية حافظ، وذلك يعني أنه أصبح يستطيع ترتيل القرآن عن ظهر قلب** ..."[3] .

هذا التمكن الديني، العلمي، والفقهي، حصل له في سن مبكرة أهله لتحمل المسؤولية في صغره قبل كبره، وتحقيق اكتمال شخصيته فيها "**وليس من العجيب أن يحصل تدريجيا شخص**

---

(1) أحمد كمال الجزار: **المفاخر في معارف الأمير الجزائري عبد القادر، والسادة الأكابر**، مراجعة، وتقديم محمد زكي إبراهيم، ط1، مطبعة العمرانية للأوفيست، الجيزة، 1997، ص19.

(2) Bellmere alex, **Abdelkader**, **sa vie politique et militaire**, libraire de L. hachette et cie. Paris,1863, p14.

(3) هنري شارل تشرشل، المصدر السابق، ص39

موهوب بالطبيعة، وجاد في فن الثقافة العصامية، والإصلاح الديني على تفوق عظيم على كل من حوله."[1]وليس غريبا أن يحصل للأمير عبدا لقادر هذا النبوغ المعرفي، والعلمي، والثقافي، وتميز عن محيطه، وهذا بفضل العقل الذي انغرست فيه كل مصادر المعرفة، والثقافة، ولم يتوقف هذا العقل عند هذا الحد من الإشباع. بل في سن 15 أرسله والده إلى أرزيو ليتابع دراسته على يدال شيخ أحمد بن الطاهر كما انتسب لمدرسة أحمد بن خوجة حيث مكث فيها حوالي سنة تقريبا منشغلا بالاغتراف، والاستزادة من مختلف العلوم اللغوية، والفقهية ليشبع رغبته المعرفية.

لعب الأب البارع الشيخ محي الدين دورا كبيرا في تربيته، وتنشئته، وفي ذلك يقول برونو إتيان: "... **وتلقى العلم من أبيه . فكانت تربيته له مصادفة رائعة جنبته دون شك علاقات معقدة جدا على المستوى النفسي مع هذا الوالد الموجه المقدر له بحق أن يحمل اسم محي الدين** ..."[2].

لذلك نعتبر أن الوالد الشيخ محي الدين أحد العوامل، والمصادر التي هيأت الأمير عبد القادر لحمل الرسالة العظيمة كواجب تجاه بلده، وشعبه، وأمته.

كل المصادر، والمراجع تتفق على الدور الذي لعبه والده الذي وجه له عناية خاصة، إلى درجة أنه كان يمنع أن يعتني بت أحد غيره[3]، ومن علامات الاهتمام الأبوي الكبيران يوجه الشيخ محي الدين ابنه عبدا لقادر لتعلم الفروسية حتى تكتمل عملية بناء شخصيته، إيمانا بأن العقل السليم في الجسم السليم، وكان لا يدانيه احد فروسية، ، ولم يكن عبد القادر فارسا مهيبا فحسب بل أن تفوقه المدهش في كل متطلبات الفروسية [4]، وتعتبر الفروسية إحدى المهارات، والمواهب التي برع فيها عبد القادر ، من خفة في الركوب، والجري، والبراعة في تطويع الفرس، والدقة في الرمي .

---

(1) هنري شارل تشرشل: المصدر السابق، ص42.

(2) برونو اتين: **الأمير عبد القادر**، تر ميشال خوري، دار عطية للنشر، ط1، 1997، ص17.

(3) بن السبع عبد الرزاق: **الأمير عبد القادر الجزائري وادبه**، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، ب.ط، ص13.

(4) هنري شارل تشرشل: المصدر السابق، ص40.

كان يخرج للصيد يطارد الخنزير البري، والغزال، والنعام، والنمر في الغابات، على أن ذلك كله لم يشغله عن أداء واجبات الدينية [1]وبذلك تحول الابن إلى فارس قوي يشار له بالبنان، وهذه كلها متطلبات الفارس الذي يواجه العدو، ويخوض المعارك، وبذلك تراكمت مواهبه عبر محطات العلم، والسفر، والصيد، والفروسية بشكل تدريجي، وكأن العناية الإلهية تحضره لأمر عظيم، ومع كل هذا كان يحظى الابن الشاب بكامل المحبة، والاحترام، والثقة مثل أبيه الذي كانت له مكانة، وهيبة في نفوس أهل وهران.

لم يستغني الشيخ محي الدين عن ابنه في حله، وترحاله، ومجالسه، وزيارته إلى البايات الأتراك في المدينة، والقبائل في التل، والصحراء، وهذا يعكس مدى الثقة، والحب الكبير، والصحبة الدائمة بين الابن، وأبيه [2].

بمجرد أن لمح الأب علامات الشباب، والحيوية، وهي تظهر على ابنه عبد القادر، انتقى له رفيقة الدرب، والعمر، من أقاربه، فزوجه مباشرة بعد عودته من رحلته العلمية التي قادته إلى أرزيو، ووهران محملا بالزاد العلمي، والفكري، والديني، فكانت ابنة عمه لالة خيرة [3] من حظه كزوجة له.

ج– حجه وزيارته بلاد المشرق:

بعد زواج الشاب عبد لقادر اختار الشيخ محي الدين أن يرافقه في سفره، وحجه نحو بلاد المشرق العربي فانطلقا عام 1823م مع بعض من عشيرتها بعد اكتمال تحضيرات، واستعدادات الرحلة الروحية إلى البقاع المقدسة، ولكن حصل أمر لم يخطر ببالهما في نواحي إقليم وهران، وهما في الطريق، حيث اعترض طريقهما فرسان الباي حسن بن موسى، ومنعوهما من السفر، وحولوا مسارهما

---

[1] زيدان جورجي: **تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر**، ج1، مؤسسة هنداوي للتعليم، والثقافة، 2012 م، ص198

[2] هنري شارل تشرشل: المصدر السابق، ص42.

[3] ودان بوغفالة: **الأمير عبد القادر عبقرية في الزمان، والمكان**، منشورات مخبر البحوث الاجتماعية، والتاريخية، مكتبة الرشاد للطباعة النشر، الجزائر ,2014 ,ص15.

نحو مدينة وهران، ووضعا تحت الإقامة الجبرية، ويدل سلوك الباي الذي يمثل النظام التركي على مستوى الغرب الجزائري مدى التخوف الريبة، والشكوك التي أثارتها شخيصة الشيخ محي الديني خاصة " **أن تجمهر العرب الغريب، وغير العادي حول محي الدين قد انذره بالخطر...**" [1] مما يستدعي الحكم بأن النظام التركي كان يراقب عن كثب، ويتوجس خيفة من أي حركة شعبية وطنية حتى لو كانت سلمية، وهذا ما نستنتجه من قضية السجن، والحظر الذي مورس على الشيخ محي الدين، وابنه، ولو أن في هذه المحطة استطاع الأمير عبد القادر أن يضيف من خلالها معارف، وعلوم أخرى تحصل عليها من علماء وهران، ووقف على العقلية السياسية التركية الإقصائية للعنصر الوطني.

أخيرا أفرجت السلطات التركية عن الشيخ محي الدين، وابنه عبد القادر، وأذنت لها بإكمال رحلتهما إلى الحج [2] لتبدأ حياة روحية جديدة كانت إضافة كبيرة لشخصية عبد القادر.

في عام 1241هـ/1825 م قرر الشيخ محي أداء فريضة الحج، واصطحاب ابنه عبد القادر دون سائر إخوته نظرا لما يتسم به من نباهة، وفطنة إلى جانب معارفه الواسعة، وشجاعته الحكيمة [3] متوجهين نحو تونس مرورا بالمدية، وقسنطينة، مفضلين الرحلة البحرية التي استغرقت حوالي خمسة عشر يوما ليصلا إلى مصر مع حاشيتهما، التي كانت تحت حكم محمد علي تشهد تطور حضاري في عهده، وهذا جلب انتباه الأمير، وزاده شغفا، وتطلعا للوقوف عند أسباب، ودوافع التغير الذي عرفته مصر، "**وهنا رأى عبد القادر لأول، وآخر مرة محمد علي، ولم يكد الحاج الشاب يتصور، بينما كان يتأمل في ذلك الجندي الناجح، أنه هو نفسه كان مقدرا له أن يفوقه قبل مرور وقت طويل في المهارة العسكرية، والقدرة الإدارية** ..."[4]وهذه الزيارة غيرت الكثير من نظرة عبد القادر

---

[1] هنري شارل تشرشل: المصدر السابق، ص44

[2] عبد الأمير هويدي الحيدري: الأمير عبد القدر الجزائري، ودوره السياسي، والعسكري، في **مجلة جامعة بابل** مج17، 2009، ص 481 .

[3] بركات محمد مراد: **الأمير عبد القادر المجاهد الصوفي**، كلية التربية جامعة عين شمس، د.ط، د.ت، ص11

[4] هنري شارل تشرشل: المصدر السابق، ص45

إلى واقع الأمة الإسلامية التي تعيش تحت، وطأة العدو الأجنبي، ولم يكن يدري في تلك الزيارة أن القدر يخبئ له مصيرا، ورسالة إنسانية ثقيلة سيحملها يوما ما عن جدارة، واستحقاق .

غادرا الابن، وأبيه قاهرة المعز نحو بلد الحرمين، فأدى الشيخ محي الدين، وابنه الفريضة الدينية المقدسة وقفلا عائدين إلى دمشق، ماكثين بها لشهور، ليستغلها، الابن في لقاء علمائها، وحضور مجالسهم [1] للإغتراف من فقههم، وعلمهم وادبهم، كما أخذ عبد القادر من الطريقة النقشبندية، متشبعا منها في التوحيد، والتصوف.

من دمشق سافر محي الدين، وابنه إلى العراق، وزارا قبر الشيخ عبد القادر الجيلاني، والتقيا بعلمائها، وتزودا خير زاد من علمهم.

بعد هذه الجولة السياحية، والروحية إلى حواضر العالم الإسلامي قفلا راجعين إلى دمشق، وحجا ثانية، وعادا إلى مصر، ومنها إلى برقة لزيارة قبر الجد مصطفى في عين غزالة ناحية درنة، ومنها إلى طرابلس، فتونس فالجزائر، وعند، وصولهما استقبلهما الوالي التركي هناك.

بعد حوالي سنتين من الغياب عن الأهل، والأقارب، والأحباب عاد الحاجان الشيخ محي الدين، والشاب عبد القادر إلى بلدتهما، واستقبلا بالأفراح، والحفلات.

تركت رحلة الحج بصماتها في عقل، ونفسية هذه الشخصية الناشئة المفعمة بالإنسانية الكاملة من خلال تحصيله لمختلف العلوم، والمعارف الحديثة، والقديمة، والعلوم الدينية كالحديث، والتفسير، والتصوف، والأصول، وعلم الكلام.

---

[1] تمكن عبد القادر بن محي الدين من حضور حلقات التدريس التي كان يقدمها كبار العلماء في الجامع الأموي، وبذلك أضاف إلى قائمة شيوخه علماء جدد أمثال الشيخ المحدث الكزيزي، والشيخ خالد النقشبندي البغدادي الشهرزوري الصوفي. ينظر: عبد الرزاق بن السبع: الأمير عبد القادر الجزائري وادبه، المرجع السابق، ص ص15.16 .

2. خلفياته الدينية والثقافية:

إن الحديث عن شخصية الإنسان، يقودنا إلى التفتيش، والبحث عن البيئة، والمحيط التي نبتت فيها، والثقافة التي سقتها، وكافة العلاقات، والسلوكيات التي غذتها، ورغم تعدد التفسيرات، والنظريات المفسرة للسلوك الإنساني، وبناء الشخصية، فإننا لن نخوض في سفسطائياتها، وتعقيداتها، وتناقضاتها، والحق أن دراسة عبد القادر الإنسان لن تخرج عن مجال مجتمعه، ودينه، وتصوفه، ونسبه الشريف وثقافته، وبيئته.

أ. الجينيالوجيا [1]

إن اغلب القادة الجزائريين الذين قادوا المقاومة الوطنية ضد العدو الفرنسي المستبد لهم سند جينيا لوجي، عائلي، قبلي شريف[2]وكمثال على ذلك نجد أن عائلة الأمير عبد القادر تعود أصولها إلى الأدارسة[3] الذين كانوا ملوكا في المغرب الأقصى، والأوسط، والأندلس، وقد اشتهرت سلالة عبد القادر، وعائلته بالعلم، والتقوى، والجهاد، ويرتبط نسبها بذرية سيدنا علي[4] فكسبوا بذلك تقدير، واحترام الجميع يرجع إليهم في كل صغيرة، وكبيرة، وبالتالي تمكنت أسرته أن تبسط نفوذها على القبائل المجاورة النازلة في نواحي الغرب الجزائري المتاخمة للمغرب، وخاصة في عهد محي الدين والد عبد القادر الذي عرف، واشتهر بالعلم، والتقوى [5]، كما عرف بسداد رأيه، وكرمه.

---

[1] . سلطانة عابد: **التراتبية الاجتماعية ببايلك الغرب، وأثرها على مقاومة الأمير عبد القادر (1832. 1847**، مقاربة مونوغرافية لمجتمع الخلافة الشرقية، مذكرة دكتوراه قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية جامعة وهران، ص138 ,

[2] Car les seules sources de noblesse musulmane son mahom et, ses successeurs et les principales familles coreichtes, les chérifes ou descendants directs du prophète ont constitué, en principe la première aristocratie musulmans reconue Hamet Ismail, librairieie armand : **Les musulmans francais du nord**, colin,1906, p272

[3] ينظر الملحق1، نقلا أبو القاسم سعد الله، **أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر**، ج2 نقلا عن المقراض نزهة الخاطر في قريض الأمير عبد القادر، ص115.

[4] احمد رويش: **في صحبة الأميرين، أبي فراس الحمداني، وعبدالقادر الجزائري**، ط1، الكويت، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري،2000، ص145.

[5] نزار أباضة: **الأمير عبد القادر الجزائري العالم المجاهد**، دار الفكر المعاصر ط1، دمشق، 1994، ص09 .

سيسير عبد القادر على نفس نهج، وسيرة أجداده، وسيكون ذلك الرجل الشريف المتمرس في العلوم، والجهاد، والسياسة، وقيادة الجيوش.

ب. نشأته العلمية والروحية:

نشأ عبد القادر تحت رعاية والده الشيخ محي الدين زعيم الطريقة القادرية في مسقط رأسه بالقطينة، وقد بذل والده جهودا مضنية، ولم يدخر جهدا في سبيل ذلك لملاحظة عليه من نباهة، وذكاء، وفطنة منذ بزوغ شمسه، في تربيته وفق النظام الاجتماعي السائد المتميز بسلطة الأبوة على الأبناء.

استلهم الابن من والده ما أمكنه من قواعد، ومبادئ التعلم من قراءة، وكتابة، وأتقنها، وهو في سن مبكرة جدا مما يوحي بنبوغ عقلي غير عادي لديه [1]وفي سن 12 كان قد وصل إلى درجة طالب، متمكنا من علوم القرآن، والحديث، والشريعة، "...**وبعد سنتن حصل على تسمية حافظ، وذلك يعني أنه أصبح يستطيع ترتيل القرآن عن ظهر قلب** ..."[2] . نشأ بذلك في بيت علم، وتقوى في وسط عائلة متعلمة، ومحافظة، تتميز بالصرامة في نظامها التدريسي، والتربوي، ولإغناء معارفه، وتنويع مصادر علمه رحل عبد القادر إلى إرزيو، وهو في سن الـ 15نهل من قاضيها الشيخ أحمد بن طاهر كما زار مدرسة أحمد بن خوخة في وهران، والتي كانت مخصصة لتدريس أبناء الأعيان، وانتسب إليها، حيث قضى فيها حوالي سنة مستغلا الفرصة في إشباع رغباته المعرفية في اللغة، والأدب، والفقه، والشعر، واكتسب، الفارس الشاب ملكة إقراض الشرفي سن العشرين من عمره [3]، على الرغم من أنه لم يسبق له أن تعلم موازينه ليكون بذلك الشاعر الذي يطلق سهام الإنسانية من لسانه فيصيب بها عدوه، وخصمه قبل سيفه.

---

[1] هنري شارل تشرشل: المصدر السابق، ص39.

[2]نفسه.

[3]عبد الرزاق بن السبع: المرجع السابق، ص15.

تربي عبد القادر، وتعلم في مدرسة والده بالقطينة، وفي وهران كما نهل من المدرسة الروحية بالمشرق لما حج إليها بعد إطلاق سراحهما من سجن الباي حسن بوهران، فزار مع والده بعض العواصم، والمدن الإسلامية في المشرق قاهرة المعز مكة، والمدينة المنورة، بغداد حاضرة العلم، والعلماء، ، ودمشق [1]، وكل خطوة كان يخطوها عبد القادر كانت له بها إضافة، وإغناء، وصقل لمعارفه وثقافته، وتعزيز لتجربته الروحية، والدينية .خاصة أنه أخذ، وتأثر، واختلط بالعلماء، والفقهاء في مدارس، ومساجد، وجوامع المشرق الإسلامي، ولم يعد إلى الجزائر إلا بعد أن ملأ و طابه بعلوم الفقه، والكلام، والحديث، والتصوف*، والأدب، والتاريخ [2].

يبين محمد باشا الخلفيات الثقافية، والمعرفية، والدينية لعبد القادر فيقول:" **أخذ الفقه من والده محي الدين، وعن غيره من العلماء، ورحل إلى وهران، وأخذ عن علمائها، وكان حافظا لكثير من اللغة العربية، والقدر الوافي من صحيح البخاري عن ظهر قلب مجازا فيه عن، والده، وسمعه من الشيخ المحدث أبي أحمد عبد الرحمان الكزبري بدمشق.**"[3]

كانت هذه التجارب، والمحطات، والسفريات بمثابة روافد لعقل شاب بدأ ينشأ، ويتشكل فتبلورت بها معارفه، ونميت مهاراته، وصقلت أفكاره، وأطرت اتجاهاته، وضبطت سلوكياته وحددت رؤاه، ومواقفه في سيرته، ومسيرته، والمتتبع لتاريخه يكتشف أن شخصية عبد القادر الابن، والشاب،

---

[1] فرعون حمو: **فلسفة الاختلاف عند الأمير عبد القادر**، الجزائري، دراسة أنثروبولوجية، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجيستر في الأنثروبولوجيا، قسم الأنثروبولوجيا، كلية العلوم الإنسانية، والعلوم الاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، ص31.

* الشائع أن ظهور التصوف كان في القرن الثاني الهجري لكنه انتشر في القرن الثالث بذليل أن المعروف لدى الباحثين في حقل التصوف الإسلامي أن اقدم المؤلفات الصوفية يرجع إلى القرن الثالث الهجري، وبالتالي نشأة التصوف تكون فعلا قد سبقت بزمن ليس بالقليل هذا التاريخ، وأن هذا العصر كان عصر بداية الازدهار، ونضج التصوف الإسلامي ينظر: عائشة بن ساعد: **البعد الروحي لمقاومة الأمير عبد القادر الجزائري**، مذكرة لنيل شهادة الماجيستر في التاريخ الحديث، والمعاصر قسم التاريخ كلية العلوم الاجتماعية، والإنسانية، جامعة الجزائر ,2003 , ص80.

[2] أبو القاسم سعد الله: **هل كان الأمير عبد القادر حداثيا**، منشور على موقع جريدة الشروق الجزائرية.
http://www.echoroukonline.com/ara/rticle /30207 .html

[3] محمد بن عبد القادر الجزائري: تحفة الزائر، د ط،المطبعة التجارية غرزوزي واد جاويش، ج2، ص304 .

والأمير عبارة عن سلسلة مترابطة الحلقات فحتى في عزلته، وخلوته، وفي جهاده يظهر ذلك المتعلم، والمعلم، والموجه، والناصح، والشاعر، والمتصوف العابد المتضرع لله، فلا ينقطع عن العلم، والتعلم.

إن أحد أهم الأسس، والمنطلقات التي بنت شخصية، وإنسانية عبد القادر، كانت تتمثل في جهاده الروحي ـ التصوف ـ، والذي كان مرحلة انبثاق جديدة لإنسان سمت أخلاقه، وقيمه على كل ما هو مادي، ودنيوي، متميز بانفتاحه، وتحرره من كل تزمت، ومن عالم المادة الضيق، والمغلق متطلعا إلى عالم الروح الأسمى، والأعلى [1]، وبهذا يصنع بشخصيته الروحانية الاستثناء من خلال تعدد خلفياته الصوفية فهو بذلك قادري[2]، نقشبندي، شاذلي.

انطلاقا من هذا المنهج نقول إن الأمير أخذ أكثر من طريقة، وهذا الأمر له ضوابطه عند أهل الله، [3]، وبين هذه الطرق يسكن عبد القادر ذي الفطرة السوية، والكمال الروحي، والذاتية المتمثلة لكل ما هو متنوع، ومتعدد، وآخر.

تعاطت شخصية عبد القادر مع الثقافة العربية الإسلامية، ومع الأفكار، والعلوم الأوروبية، ومع الفلسفة اليونانية لأفلاطون، وفيثاغورس، وأرسطو، وطاليس.[4]

إن المعين الثقافي، والعلمي، والديني، والروحي لهذه الشخصية الناشئة لم ينضب يوما، سواء كان عبد القادر طفلا أوشابا أو أميرا أو سجينا أو متحررا فإن شغف المعرفة، وحب المطالعة، ومجالسة العلماء، وحضور المجالس، وتدارس الفقه، والحديث، ومختلف صنوف المعرفة لم ينضب يوما

---

(1) محمد الهادي بوطارن: التواصل الثقافي بين الجزائر، والمشرق العربي خلال عهد الأمير عبد القادر، في **مجلة الباحث**، ع6، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، الجزائر، جانفي، جوان 2012، ص94.

(2) . على خطى أبائه، وأجداده انتسب الأمير عبد القادر إلى التصوف، ولبس بدوره الخرقة القادرية من يد نقيب الأشراف الشيخ محمود القادري، وأجازه مشافهة، وكتابة كما زار رفقة أبيه محي الدين زاوية، وضريح الشيخ عبد القادر الجيلاني، كما زار ضريح شيخ الصوفية الأكبر محي الدين ابن العربي الحاتمي، وأخذ عن الصوفي الكبير خالد النقشبندي السهر، وردي، وكثر التردد إليهم، وانتفع منه. ينظر: محمد بن عبد القادر الجزائري، ج2، المصدر السابق، ص304.

(3) أحمد كمال الجزار: المرجع السابق، ص19.

(4) جورجي زيدان: المرجع السابق، ص197.

حتى، وهو محارب فوق فرسه راح يؤسس لمكتبة ضخمة استولت عليها أيادي النهب الفرنسي، بعد أن استوثق نفسه عند الفرنسيين (01264هـ/1847 م) صانعا من مناهل علمه، ومعرفته شخصية تؤمن بالإنسانية تسمو فوق الإنسان العادي، فاحتويت مبادئها ذلك الأخر ـ العدو ـ الفرنسي ـ المسيحي، الخصم المنافس دون عقدة، وبعيدا عن أي تعصب ديني، أو تطرف سياسي، أو عنف عسكري، أو أي شكل من أشكال الرفض الاجتماعي، والثقافي لكل مما هو غريب بل نجده يقدر الأمور بالميزان في حالة حربه الدفاعية ضد سياسات الاستبداد الفرنسية، وضد الزعامات المحلية[1] الرافضة لإمارته، والمتمردة عن شرعيته.

[1] . Il devra se battre autant contre les francais que contre certains chefs de tribus qui luis etaient hostiles: alghomai. Le cheikh des angad à faire renommer un autre sultan par les ouled sidi cheikh et les sahariens avec appui de kaddour ben mokhfi de bordjia, et des tribus de chlef. Zohra Maldji : **conférence à Bourges**, le24 mai 2013, p06.

3. مميزاته الشخصية:

أ- ذكاؤه وفطنته:

يعتبر الذكاء الإنساني من المواضيع التي اتخذت حيزا كبيرا من الكتابات، فقد تباينت الجهود النظرية في فهم الذكاء[1]، والعوامل المؤثرة فيه، وتراوحت هذه الجهود بين مواقف بالغة الاختلاف في العديد من القضايا، فكثيرا من الشخصيات التاريخية التي تميزت بالعبقرية كشخصية عبد القادر الجزائري، التي فجرت طاقاتها في الصغر، والكبر، وقد لعبت الأسرة، و البيئة، والمحيط الذي نشأت فيه دورا كبيرا في إنماءها، وتعزيزها، وتأطيرها، وذلك من خلال التربية، والتعليم، والرعاية، والاهتمام الذي أولاه لابنه الشيخ محي الدين، وقد تنبه هذ الأخير لبذرته الصالحة، وهي تنمو أمام عينه، وهو يرى ملامح، وتجليات ذلك الذكاء الإنساني في ابنه، "**ومنذ طفولته كان عبد القادر موضعا خاصا لحب والده حتى عندما كان في الرضاع** ..." [2]، ومن عادته أنه لا يسمح لأحد بالعناية به، وهذا دليل على ذلك الاهتمام الاستثنائي به دون إخوته .

إن أهم سمات الذكاء لابن محي الدين هو تفوقه الدراسي، ونضجه الفكري، والعلمي في سن مبكرة حيث كان حافظا للقرآن في سن 15، وتولى مهمة تعليمه شيوخ، وعلماء ذوي كفاءة، وأبرز ما لوحظ في شخصيته هو ذلك التحسن الملحوظ، والسريع.

سرعان ما برع في تدريباته البدنية، وتميز عن غيره في الفروسية، وسباق الخيل، والصيد [3]ورمي العصا، فكانت هذه التجربة الميدانية تعكس العقل العملي التي تمتعت به هذه الشخصية الناشئة التي أشير لها بالبنان داخل قبيلته، وخارجها، ومن حيث لا يدري كانت حياته تسير في منحى

---

(1) لتعريف الذكاء ينظر: محمد طه: **اتجاهات معاصرة، وقضايا نقدية**، د ت، المجلس الوطني للثقافة، والفنون، والآداب، الكويت، 2006، ص10.

(2) هنري شارل تشرشل: المصدر السابق، ص39.

(3) سمية بوراس: **أسرة الأمير عبد القادر في المشرق بين السياسة العثمانية، والسياسة الفرنسة**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغاربة الحديث، والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية، والاجتماعية، جامعة قسنطينة2، 2014 2015، ص07.

تصاعدي من طور إلى طور، ومن خلال هذه الأطوار الزمنية كانت تتبلور، وتتكون شخصية عبد القادر الابن التي استشرف مآلها أبيه محي الدين، ومن جملة ما كوفئت به شخصية الابن أنه منحت جائزة زيارة مكة، والمدينة، والسياحة في بلاد المشرق مرتين، رغم أنه كان يكره الحرب، والمعارك، إلا أنه كان ماهرا في التخطيط للعدو، وهو على جبهات الحرب يختبر نفسه صحبة والده الذي قاد الحرب ضد التوسع الفرنسي في الغرب الجزائري، وامتحن في معركة خنق النطاح الثانية" **وتعجب النصارى من فروسيته، وشجاعته، وبسالته، وبراعته** "[1]

إن نجاح الابن، والشاب في امتحانات العلمية، والميدانية ليس وليد الصدفة أو الحظ، وليس عرض الإمارة عليه من باب التشريف، وإنما كانت كلها محصلات لسلوك ذكي، وعقل فطن، وبهما صنع سيرة حسنة، ومسارا ناجحا، هذا الذكاء الذي دوخ به الضباط، والقادة الفرنسيين كمحارب ماهر، ومخطط استراتيجي للمعارك، كان "**موهوبا بروح عالية تمارس تأثيرا كبيرا على متدين بعمق**"[2]، وهذه شهادة الأجانب أنفسهم في تلك اللحظات الحينية التي سادها الفوضى في الغرب الجزائري" **فإن رجلا من طراز عبد القادر له حظوظ كبيرة في النجاح**"[3]، وكل ما حققه، ومر به من تجارب سيترجمها بكل ذكاء في مؤلفات تعبر عن أفكاره الإنسانية.

إن ما يميزه الشخصية الإنسانية في نظره هو أن تمتلك قوة العقل التي هي يميزها كأحد القوى التي تميز الشخصية الإنسانية [4]، وبها يصنع النجاح في عالم الدنيا، والآخرة.

وظف ملكاته العقلية في كل مجال أقدم عليه، و ها هو الشاب الموهوب يشير على قومه، ويستشار في مجلس أهل الحل، والعقد، ولا أدل على ذلك من تمكنه بفكره السياسي الناضج من

---

(1) ابن عودة المزاري الأغا: **طلوع سعد السعود في أخبار وهران، والجزائر، وإسبانيا، وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر**، تحق، ودراسة يحي بوعزيز، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1990، ص102.

(2) . أدريان بيربروجير: **مع الأمير عبد القادر رحلة وفد فرنسي لمقابلة الأمير في البويرة (1837. 1838**، تر أبو القاسم سعد الله، منشورات المركز الوطني للدراسات، والبحث في الحركة الوطنية، وثرة أول نوفمبر1954، د.ط، 2006، ص83.

(3) أدريان بير بروجر، المصدر نفسه، ص85.

(4) الأمير عبد القادر الجزائري: **ذكرى** العاقل، وتنبيه الغافل، بروسة، 1858، ص30.

تخليص قبيلته من هم شغلها عندما طلب الباي حسن ممثل بقايا النظام التركي في الجزائر من الشيخ محي الدين اللجوء إليه من أجل حمايته من الفرنسي، وغضب الأهالي الناقمين عليه، فتكلمت الموهبة السياسية الجامحة بكل عفوية، ورزانة، وحذرت من استقبال أحد، وجوه النظام التركي المستبد نظرا لما قد يجلبه من عواقب محتملة في حالة حمايته كإثارة القبائل الناقمة عليه أو الدخول في خصومة معها بسبب استقباله . فارتاح الجمع في المجلس، وقبلوا برأيه السديد، وهو الرفض التام لطلب باي وهران، ليقرر مصيره بنفسه مع الفرنسيين.[1]

وهكذا موقف ذكي من شاب نظر إلى الأوضاع، والتطورات الميدانية السريعة بعين الميزان ليحصد النظام التركي نتائج ممارساته، وسياساته المجحفة، والمتعسفة في حق السكان المحليين.

وتعتبر فتنة الشام 1860[2] من أهم مظاهر ذلك الذكاء الإنساني الخالد الذي حير الأخر الذي طالما تعامل بمنطق الاستعلاء مع الذات العربية الإسلامية السامية، فلم يذكي النار أو يسيل الدم بل أذكى روح الإنسانية في أهل الشام لتربط بينهم برباط الأخوة، والتعايش.

ب–شجاعته:

في السن 17 من عمره اشتهر عبد القادر الشاب بالبأس، وقوة البدن، والفروسية، وكلها صفات تليق بالرجل المحارب الذي عود نفسه منذ الصغر على تحمل الصعاب، والشدائد، وأمره لا يستدعي الاستغراب سواء قبل انتخابه لقيادة الجهاد أو بعدها عندما يخوض المعارك، فلا يغمض له جفن خلال أسابيع منشغلا بالعدو الفرنس، وبمصير البلاد، والعباد.

اجتمعت في ابن محي الدين كل علامات، ومظاهر الشجاعة، فورث من الناحية البيولوجية، والعقلية سيمات كقوة الجسم وصفة البدن، والإرادة القوية الفائقة [3]، حيث أن شكله، ومظهره

---

[1] تشرشل: المصدر السابق، ص51.

[2] كارل بروكلمان: **تاريخ الشعوب الإسلامية**، تر نبيه أمين فارس، منير البعلبكي، ط5، دار العلم للملايين،1968، ص627.

[3] عائشة بن سعاد: **البعد الروحي لمقاومة الأمير عبد القادر**، مذكرة لنيل شهادة الماجيستر في التاريخ الحديث، والمعاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية، والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2003. 2004 م، ص21.

يدل على قوة روحية ممزوجة بغريزة الحرية، وبنزعته البطولية، والحماسية، والنضالية[1]، وفي ذلك يقول روسي **Camille rousset**: **"حيث ظهرت علامات القوة، والشجاعة في الطفل، وفي سنة 1832 كان عمر هـ 24 سنة، قامته متوسطة وجهه جميل، لا يعرف التعب، كان الأفضل من بين الفرسان الأوائل في العالم"** [2].

إن جرأة الابن، والشاب عبد القادر كانت علامة مميزة في شخصيته كيف لا، وحياته مليئة بتجارب عنوانها المغامرة، والإقدام، والشجاعة، ومن المواقف الحاسمة التي امتحنت عبد القادر أنه استطاع أن يخلص نفسه، ووالده من قبضة الداي، بعد السماح لهما بالحج سنة 1825م لكنهما استدعيا في الطريق، وبعد دخولها ألقي القبض عليهما فتصدى الابن الفتي عبد القادر للداي في **"جرأة، وشجاعة يقول: نحن مسافرون للحج، وما هذا الحرس إلا القدر الذي يتناسب مع مخاطر الطريق فإذا شئت ركبنا السفينة أمامك للسفر، والا فلست مسؤولا عن نتائج اعتقالنا"**[3].وبعد خروج هذا الكلام المفحم لم يكن بوسع الحاكم التركي إلا السماح لهما إلا بإطلاق سراحهما، و مواصلة رحلتهم نحو المشرق.

ومع التوسع الإستدماري في الجزائر أخذ الشيخ محي الدين المبادرة بقيادة القبائل في الغرب الجزائري في ظل تقويض مؤسسات الدولة المبادرة لإيقاف زحف الفرنسيين، فخاض معاركا ضدهم، وله في ذلك صولات، وجولات، فقد كان فارسا في المعركة، وفارسا في الكتابة، ويقول عن بطولاته، وشجاعته الكثير من الأشعار[4] منها:

---

(1) محمد الهادي بوطارن: التواصل الثقافي بين الجزائر، والمشرق العربي خلال عهد الأمير عبد القادر، في **مجلة الباحث**، ع6،المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، جانفي . جوان 2012، ص93.

(2) Camille rousset, **l'algérie de 1830 _1840 : les commencements d'une conquete**, librairie plon, paris,1887, 2èmeedition.p2

(3) يحي بوعزيز: **الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري**، ط2، الدار العربية للكتاب، الشركة الوطنية للنشر، والتوزيع،1983، ص42.

(4) . الأمير عبد القادر الجزائري: **ديوان الشاعر الأمير عبد القادر (1807.1883)**، تحق العربي ولد دحوط3 ردمك،2007، ص49.

إذا مـــا لقيت الخيـــل، أنـــــي لأول وإن جـــال أصحـــابي فإني لهـــا تال
أدافع عنهـــم مـــا يخـــافون من ردى فيشكر كل الخلـــق من حسن أفعالي
وأورد رايـــات الطعـــان صحيحـــة وأصدرهـــا بالرمي تمثـال غربـــالي
ومن عادة الســـادات بالجيش تحتمـــي وبي يحتمي جيشي، وتحـرس أبطـالي
وبي تتقـــي يوم الطعـــان فـــوارس تخالينهـم في الحـرب أمثـال أشبـال
وإذا مـــا اشتكت خيلي الجراح تحمحمـا أقول لها: صبرا كصبـــري، وأجمـــالي
وأبذل يوم الـــروع نفســـا كريمـــة على أنها في السلم أغلى من الغـــالي
وعني سلـــي جيـــش الفرنسيس تعلمـي بأن منایاهم بسيفـي، وعســـــالي
إذا مـــا لقيـــت الخيـــل، أنـــي لأول وإن جـــال أصحـــابي فإني لها تال
أدافـــع عنهـــم ما يخـــافون من ردى فيشكـــر كـل الخلق من حسن أفعالي
وأورد رايـــات الـطعـــان صحيحـــة وأصدرهـــا بالرمي تمثـال غربـــالي
ومن عـــادة الســـادات بالجيـش تحتمـي وبي يحتمـي جيشي، وتحرس أبطـالي
وبي تتقـــي يـــوم الطعـــان فـــوارس تخـــالينهـم في الحرب أمثال أشبـال
وإذا ما اشتكت خيلـــي الجراح تحمحمـــا أقـــول لهـــا: صبرا كصبري، وأجمـالي
وأبـذل يـــوم الـــروع نفســـا كريمـــة على أنهـــا في السلـم أغلى من الغالي
وعنـــي سلـــي جيـــش الفرنسيـس تعلمي بأن منـــاياهم بسيفي، وعســـــالي

وكان يعقد الشيخ محي الدين الراية لابنه عبد القادر الشاب الملتهب شجاعة[1]، وفيها أبان هذا الأخير عن إرادة جامحة تواقة للدفاع عن الأرض، والعرض.

[1] يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص43.

ج– نزعته الروحانية:

عند تتبعنا لسيرة عبد القادر ابن محي الدين، وقراءتنا لمؤلفاته، وتمحيصنا لأفكاره، نتوقف على حقيقة تاريخية متمثلة في أن الأمير كان يتنقل بين عالمين، عالم الروحانية الذي يجاهد فيه ضد المادية، وعالم الحرية يحارب فيه أعداء الإنسانية. من هذا المنطلق كان متمسكا بالأخلاق الإلهية التي استلهمها، وتعلمها، وتمثلها من، والده، وأسرته، ومن مصادر تعليمه، وتربيته.

كثيرا ما ترسخت الصورة النمطية لشخصية عبد القادر القائد المحارب، واختفت، ورائها صورته كمتصوف، وزاهد، وهذا ما رسمته لنا الكتابات التاريخية التي تناولت الجوانب العسكرية، والسياسية، والأدبية، وغطت على الجانب الروحي الذي يعد خزان طاقة، وقوة، وعبقرية ذلك القائد العسكري الذي دوخ الفرنسيين بخططه، واستراتيجياته، والحقيقة أن تجليات التصوف بإمكان أن ينتبه لها أي دارس حاذق، وذلك بتتبع مسار دراسته، وبيئته، ونشأتها إضافة إلى ذلك كان أبوه صوفيا قادريا[1].

د– عقلانيته:

تعامل عبد القادر بعد مبايعته أميرا على الأمة بحذر شديد مع حجم الرهانات، والتطورات المتسارعة، والمتتالية، كالروح القبلية المتجذرة في عمق النفسية الجزائرية، والتمرد المخزني المعتاد على تبديل الولاء حسب ميزان القوى السائد آنذاك، وإغراءات الامتيازات الممنوحة، والخبث الفرنسي الفطري، فكلها حتمت على الأمير عبد القادر، مراعاة الظروف، والأحوال السائدة، والتعامل معها بتوظيف آلته العقلية قبل كل شيء.

إن كل أراء، ومواقف، وسلوكات، وأفكار الأمير تعكس شخصية عقلانية في التعامل مع الآخرين سواء كانوا أعداء أجانب أو خصوم محليين، ويجدر بنا التنويه بهذا العقل الأميري الفتي الذي احترم تراث بلاده، وامته، ولم يحاول تجاوزه أو إقصائه أو عاش في عصر تسابق فيه غيره على التطور المادي، وكان الأمير عبد القادر يسمع، ويقرأ عن آخر ما وصلت إليه منجزات العقل الأوربي.

---

[1]. عبد الوهاب بلغراس: هل يعتبر الأمير عبد القادر مجددا فلسفيا، وصوفيا؟، في **مجلة المواقف للبحوث، والدراسات في المجتمع، والتاريخ**، ع05,ديسمبر2010 ,ص137.

من خلال مؤلفات الأمير عبد القادر خاصة في ذكرى العاقل، وتنبيه الغافل، والمقراض الحاد[1] الذين كانا معبرين عن هذا الاحتفاء بدور، ومكانة العقل في التطور الحضاري، ونتأكد من ذلك من خلال قراءتنا خاصة لصفحات مؤلفه ذكرى العاقل، ويعرف ملكة العقل قائلا: "**واعلموا أن العقل منبع العلم، وأساسه، ومطلعه**"[2]، و تتردد كثيرا كلمة العقل في متنه، وهذا دليل من الناحية النفسية على قوة تأثير هذه الملكة في شخصية الأمير عبد القادر، ويقول في الباب الثاني ليبين شرف العقل: "**وشرف العلوم، والصناعات يدرك بثلاثة أمور إما بالالتفات إلى الآلة التي يتوصل بها إلى معرفتها كفضل العلوم العقلية على العلوم اللغوية، إذ تدرك الحكمة بالعقل، واللغة بالسمع، والعقل أشرف من السمع**"، [3]، وينطلق الفيلسوف عبد القادر في كل هذا من أن نعمة العقل هي من نعم الله على الإنسان ، وبها تحصله قوته، وتميزه عن العالم الحيواني الذي تسوده الشهوة، والغريزة، وطالما أن للعقل خاصية إنسانية فإن الإنسان يحوز على شرف النظر العقلي الذي يمكن من الفوز بالمطالب العقلية[4]، وهنا تتضح أكثر مدى الارتباط بين مفهومي الإنسانية بالعقل لدى الأمير عبد القادر تفكيرا، وممارسة.

من خلال مفاهيم العقل، والعقلانية، والعلوم العقلانية التي أثارها الأمير عبد القادر في كتاباته يفهم منها أنه استوعب متطلبات عصر العقل، والعقلانية، هذا العصر الذي رمى بثقل أفكاره، ومنجزاته على الأمة الإسلامية، وتوحي بردة فعل، وصدمة حضارية شغلت بال شخصية جزائرية، وقد حاول الأمير أن يستوعبها، ويتكيف معها، وقد ترجم الأمير تلك العقلانية في أفكاره، وسلوكياته، ومواقفه في الحرب مع الفرنسيين، ومع خصومه، وفي أسره في فرنسا، وفي رسائله مع حكام، وملوك أوروبا، وفي سيرته في المشرق العربي بعد إطلاق سراحه.

---

(1) ودان بو غفالة، المرجع السابق، ص143.

(2) الأمير عبد القادر، ذكرى العاقل، وتنبيه الغاف، المصدر السابق، ص22.

(3) المصدر نفسه، ص21.

(4) بشير خليفي: الفلسفة الأخلاقية عند الأمير عبد القادر، في **مجلة المواقف** للبحوث، والدراسات في المجتمع، والتاريخ، ع09، ديسمبر2014، ص2014.

إن مشروعه الحضاري المتمثل في تأسيس دولة جزائرية في فترة زمنية قصيرة ابتداءا من سنة 1832 [1]وبعث الروح الوطنية من بين الركام بين أفراد الأمة الجزائرية كان قائم أصلا على أسس عقلانية رغم المعارضة التقليدية التي تقودها الزعامات المحلية [2]التي تمثل النظام القائم، والرافض لكل سلطة مركزية، حتى لو قامت على الشرعية، وفي حالة الأمير يمكنا أن نقول إن دولته قامت في ظل فكر تقدمي مستنير[3].

هـ – واقعيته:

إن مفهوم الواقعية يعني الواقع الحاصل، والواقعة ما حدث وجد بالفعل، وهي مرادفة للحادث**Fait**[4].

إن الواقعي منسوب إلى الواقع، ويرادفه الوجودي، والحقيقي**Réel**والفعلي **Actuel**، ويقابله الخيالي، والوهمي، فتقول الرجل الواقعي، أي الرجل الذي يرى الأشياء كما هي عليه في الواقع، ويتخذ إزائها ما يناسبها من التدابير دون التأثر بالأوهام أو الأحلام[5].

إن فلسفة مسايرة الأمير عبد القادر للواقع بكل تطوراته، وإفرازاته، وتناقضاته، وتفاعلاته يحيلنا إلى إثارة إشكالية تطابق الفكر الأميري مع الواقع المفروض أي إشكالية تعامل الذات مع الأخر العدو ـ المعتدي ـ الخصم ـ انطلاقا من قناعات دينية غير متزمتة متفهمة، ومنفتحة على روح العصر،

---

(1) لخضر بكاي: **دراسة لموقع تازا برج الأمير عبد القادر، من خلال المصادر التاريخية، والأبحاث الأثرية**، رسالة لنيل شهادة الماجيستر في الأثار الإسلامية، جامعة الجزائر، معهد الاثار،2005 2006، ص 34.

(2) . فاطمة حباش: **المكاتب العربية، ودورها في المد الاستعماري بالغرب الجزائري (1844. 1870 تيارت، سعيدة جيريفيل، البيض نماذج**، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث، والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية، والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ، وعلم الآثار، جامعة وهران 2013 2014، ص66.

(3) عبد القادر ملاح: الأمير عبد القادر بين الإنسانية، والروحانية، في **مجلة الكلمة**، ع، 66، 2010، .http://www.kalema.net

(4) . جميل صليبيا: **المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية، والفرنسية، والإنجليزية، واللاتينية**، ج2، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، د.ط 1982 ,ص552.

(5) عبد القادر ملاح: المرجع نفسه، ص552.

وتياراته، بعيدا عن العنف، والتعصب، والتزمت، والإرهاب، إلا أنها تنطبق على غيره من الأوربيين عامة، والفرنسيين خاصة، وهؤلاء الآخرين تلازمهم هذه النعوت التي صنعت واقعهم الإجرامي في الجزائر.

إن هذه الشخصية المتميزة بعلمها، وفكرها، وسلوكها العسكري، العبقري، والإنساني، عكست حركة التاريخ التي حاول دعاة صناع الحضارة أن يرسموا اتجاهها، فبين إدارة المشروع الإستدماري، وإرادة المشروع الأميري يتموقع واقعا رهينا للمد، والجزر بينهما، هذا الواقع تتمظهر فيه مجموعة من المعطيات الأساسية خلقت تناقضات كان على الأمير عبد القادر أن يتفهمها، ويتكيف معها، وأحيانا مواجهتها، وصناعة واقعا آخر بحكمته، وحسن تدبيره.

إن دراسة واقعية شخصية عبد القادر يحيلنا إلى ربط المعطى الفكري، والمعطى الواقعي[1]، وأي من المعطيين يقولب الآخر بصبغته الخاصة؟ فلا يسعنا في هذا المقام إثارة إشكالية كثيرا ما أسالت حبر الفلاسفة، والمفكرين، وعلماء الاجتماع، وإنما أن نتوقف على مدى واقعية أفكار الأمير، ومدى تطبيقها فعلا، أمام عناد خصوم منافسين له في الزعامة، والسلطة، همجية عدو مدجج بأسلحة ثقيلة، ومن هنا نجد أن الأمير بعد مبايعة الأمة له، أصبح يشكل الضمير الجمعي، والكلي لها، تفكيره، وسلوكه، ومواقفه كلها نابعة منها تعكس ضمير الأمة التي بايعته على الدفاع عن الوطن، وعن الدين.

وقد عبر عن تلك الواقعية الشيخ محي الدين حين قال في ولده: **"غير أني ارتكبت الضررين حين تيقنت الحق فيما قلتموه مع تحققي أن قيام ولدي بالإمارة أشد من قيامي، وأصلح فراعيت عدم التفريط، والإفراط، وأي عالم أنه لمعالج كبيركم، وصغيركم، وأثبت مني، وأقدر على مكابدة المشاق، والتعب، والسهر، وغيرها مع الأمانة، فكونوا معه يدا، وعضوا"**[2] .

---

[1] ناصيف نصار: **الفكر الواقعي عند ابن خلدون تفسير تحليلي، وجدلي لفكر ابن خلدون في بنيته، ومعناه**، دار الطليعة للطباعة، والنشر، بيروت، ط1، 1981، ص81.

[2] الحاج مصطفى بن التهامي: **سيرة الأمير عبد القادر، وجهاده**، تحق يحي بوعزيز، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1995، ص130.

لقد صرح الشيخ محي الدين أولا بسياسة الأمر الواقع التي فرضتها فرنسا على الجزائريين، وثانيا بالواقع الذي سيصنعه ابنه في حالة مساندة، وتأييد الأمة، ونفهم من خطابه كذلك عن أهلية عبد القادر للقيادة، وجمع شمل القبائل ليكونوا يدا واحدة، وعضوا واحدا، وثبت صحة تفكير الأب حول مستقبل ابنه كما نجح هذا الأخير في هندسة، وقولبة واقع دولة حديثة تشكل مركز للسلطة، ومظلة للوحدة الوطنية مجابها بها أوهام، وخيالات الفرنسيين.

تدخل استراتيجية عبد القادر القائد العسكري ضمن واقعية الحرب التي خاضها من منطلق شرعي ديني، قانوني تنم عن حنكته السياسية في التعامل مع كل الوقائع، والطوارئ، ولاسيما ظاهرة التمرد القبلي عليه[1] رغبة منه في توحيد الصفوف، ورصها لمواجهة الخطر الفرنسي الذي هدد مقومات البلد، من قيم، وثوابت، وموارد مدفوعا بثقل المسؤولية التي أوكلت إليه مدافعا عن الدين، والوطن.

ففي جهاده كان يطلب المشورة، والفتوى في قضايا دينية طارئة تحتاج أحكاما دينية للفصل فيها بعيدا عن المغامرة، والتهور، والاستهزاء بالدين، ولعل خير مثال على واقعية الشخصية هي مبايعته، وقبول القبائل على طاعته، والتزام أوامره.

كان يفضل العودة للفقهاء، وعلماء الدين للفصل في قضايا دينية، ودنيوية منها مراسلاته مع المولى عبد الرحمان بن هشام للاستفتاء، والتعاون لصد الخطر الأجنبي الداهم، وعبرت هذه المراسلات عن مظهر من مظاهر اليقظة المغاربية في العصر الحديث[2].

إن أفضل تجليات واقعية فكر شخصية الأمير عبد القادر تظهر فيما يلي:

فرض مشروع بناء الدولة الوطنية الحديثة الذي أقيم على ثلثي مساحة البلاد، وإلزام الدولة الفرنسية للاعتراف بها بموجب معاهدتي ديمشال 26 فيفري1834، والتافنة 30ماي 1837[3]

---

[1] ودان بوغفالة، المرجع السابق، ص.155

[2] التسولي: **أجوبة التسولي عن مسائل الأمير عبد القادر في الجهاد**، دراسة، وتحق عبد اللطيف أحمد الشيخ محمد صالح، ط، دار الغرب الاسلامي،1996، ص09.

[3] ودان بوغفالة، المرجع السابق، ص 68.

التزامه بالقيم، والمبادئ الإسلامية في تطبيق القوانين، والقرارات، في حالة السلم، والحرم مع العدو الفرنسي، والخصم المحلي.

توحيد جهود، وآمال، وطموحات الجزائريين، واستمالة الزعامات المحلية إلى جانبه التي نابذته، وواجهته من قبل [1].

تأسيس، وتوطيد علاقات اقتصادية، ودبلوماسية مع الدول المتوسطية، وبريطانيا، والولايات المتحدة الأمريكية، وهذا راجع لواقعية الفكر السياسي، والدبلوماسي للأمير، في زخم التحول الجيوسياسي[2] محليا، وإقليميا، ودوليا.

[1] أستطاع الأمير عبد القادر مواجهة كيانات سياسية مستقلة عددها المؤرخ الفرنسي لويس فيليب ب 126 قبيلة مخزنية، و200 قبيلة مستقلة، و190 قبيلة خاضعة، وشبه خاضعة. ينظر: خثير، وآخرون: **منطلقات، وأسس الحركة الوطنية الجزائرية 1954.1830**، المركز الوطني للدراسات، والبحث في الحركة الوطنية، وثورة أول نوفمبر1954، 2007، ص325.

[2] نقصد بذلك التحول الذي حدث في أوروبا بفعل النهضة الأوروبية، والثورة الصناعية، وانعكاسات الثورة الفرنسية، وتطور، وتوسع الإمبراطوريات الأوروبية، ومد نفوذها على حساب دول إفريقيا، وآسيا، وأمريكا فأصبحت تحتل مجالا جغرافيا أوسع بكثير من ذي قبل. محققة أهدافها الجيوسياسية، وللمزيد من الاطلاع على مفهوم الجيوسياسية. ينظر: محمد رياض: **الأصول العامة في الجغرافيا السياسية، والجيوبوليتيكا**، د.ط، مؤسسة هنداوي،2014، ص15.

4. خبرته في الحرب:

أ– مبايعته:

خاض الأمير عبد القادر حربه الدفاعية ضد العدو الفرنسي من منطلق ديني جهادي، بعد عامين من استيلاء الفرنسيين على مدينة الجزائر، فتحولت بذلك البلاد إلى فريسة بين أنياب، وحوش أوروبا إلا أن روح المقاوم الجزائري كانت تتقد بين فترة، وأخرى ضد الأساليب، والممارسات العدوانية لفرنسا، وتجسدت تلك الروح في ابن محي الدين، الذي أشعل شرارة المقاومة، باعثا الوطنية في قلوب الجزائريين لينطلق في حرب دامت 15 سنة محاربا المؤسسة الكولونيالية الفرنسية منظما حربا فعالة ضد إحدى أقوى ألآلات العسكرية خلال القرن 19[1] لتدخل الجزائر مرحلة جديدة مع المقاومة سنة 1832م تحت لواء عبد القادر بن محي الدين.

يشرح صاحب كتاب تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر الوضع العام الذي استفاقت فيه روح المقاومة الجزائرية بقيادة فتية، فيقول: **"لما طال على أهل الوطن الأمد، وتوالى عليهم فيما بينهم الكرب، والنكد، وتسلط على بلادهم العدو، ومنعهم القرار، والهدوء، فتارة كانوا يدافعونه عن البلاد، وآونة كان يقع بينهم الفساد، والحرب، والجلاد وسطا القوي على الضعيف، وتطاول اللئيم على الشريف، اجتمع الأشراف، والعلماء واعيان القبائل من العرب، والبربر، وقدموا على حضرة سيدي الجد، وألزموه أن يقبل بيعتهم على الأمارة لنفسه أو لولده سيدي الوالد.."**[2]، وبناء على هذا التشخيص للظروف، والأوضاع الذي صاحب مبايعة عبد القادر كأمير للحرب نفهم بأن الأمة الجزائرية بكل مكوناتها عرب، وأمازيغ اضطرت إلى خيار مقاومة العدو الفرنسي، و قادة، وزعماء القبائل الذين أثاروا الفوضى، والفتن، في طول البلاد،

---

(1) Mehdi Benchanan : **l'émir Abdelkader fac à la conquète francaise de l'algerie** (**1832_1847**, edilivre, sed, p07.

(2) الأمير محمد بن عبد القادر الجزائري: المصدر السابق، ج1، ص96.

وعرضها، لتكون الجزائر لأول مرة عبر التاريخ على موعد مع اختيار قائدو قيادة لثورة عنيفة، وطموحة.

بعيدا عن سرد تفاصيل الأحداث العسكرية ، والسياسية التي صاحب مقاومة الأمير عبد القادر منذ 1832 نقتصر على موجز من كرونولوجيا حربه ضد العدو الفرنسي في ما يلي:" **. تحرير، وثيقة البيعة الأولى للسيد عبد القادر بن محي الدين الجزائري على السمع، والطاعة من قبل سائر القرابة ثم الأشراف، والعلماء، والأعيان، والرؤساء على حسب مراتبهم، وطبقاتهم...**"[1].

في السابع، والعشرون من نوفمبر سنة اثنين، وثلاثين، وثمانمائة، والف ميلادية 27/نوفمبر/م1832، والموافق للثالث من رجب سنة ثمان، وأربعين، ومائتين، والف هجرية 03 /رجب /1248 هو رغم ثقل الأمانة التي كلف بها عبد القادر فأنه قبلها لكونه لا يستطيع التخلف عن أداء الواجب نحو الدين، والوطن التي قال فيها الله سبحانه، وتعالى : ﴿ **إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولا** ﴾ [2].

بعد انتشار نبأ مبايعة عبد القادر أميرا أقبلت الوفود من الأقاصي إلى معسكر "**ثم انعقد مجلس عام حضره الجمهور من العلماء من الأشراف، والعلماء، والرؤساء من كل قبيل، وفريق، وجرى فيه عقد البيعة الثانية العامة ...**"[3].

من خلال البيعتين يتبن لنا أن الجزائر حققت نقلة نوعية في التنظير للحكم، وفي ممارسته لأول مرة في العصر الحديث، فعلى مستوى التنظير تمكن الأمير عبد القادر[4]من أن يستوحي أفكاره،

---

(1) الأمير محمد بن عبد القادر الجزائري: المصدر السابق، ص97.

(2) **سورة الأحزاب، الآية رقم:72.**

(3) الأمير محمد بن عبد القادر الجزائري، المصدر السابق، ج1، ص101.

(4) Abd elkader (dont le nomsignifie ; Serviteuredu tout puissant, aussi appelé ElHadj, un titre porté par les musulmans ayant fait des pélerinages à la ville sainte de Mecque. Voir : A, V, Dinesen : **Abd elkader et les relations entr les**

ونظرياته في الحكم من تراث، وطموحات، وأمال، وواقع أمته، أما على مستوى الممارسة فقد أسس لحكم راشد، كان قاعدة لبناء دولة وطنية ذات أبعاد متكاملة البعد السياسي، البعد الاقتصادي، البعد الحضاري، البعد الإنساني.

ب–مهارته السياسية والعسكرية:

لقد صنعت التطورات، والأحداث المتتالية، والمتسارعة من ابن محي الدين رجل دولة تولى القيادة السياسية، والعسكرية، وبنى بنضجه الفكري، والسياسي مؤسسات دولة وطنية مكونة من، وزراء، وخلفاء، وقادة محليين، [1]وواجه في قيادته للحرب تحديات كبرى [2]إلا أنه ذللها، وتغلب عليها بذكائه، وعبقريته العسكرية.

بعد سلسلة من النجاحات الميدانية للأمير عبد القادر في عدة معارك ضد الجيش الفرنسي أرغمت قائد الجيش الفرنسي بوهران ديمشال* **desmichel** على عقد معاهدة معه 26 فيفري1834[3] التي ضمنت له، وضعية الحاكم القوي، وهذا مكنه من، وضع الأسس الأولى لدولته[4]فكانت له أول انتصار دبلوماسي في معاركه السياسية.

وهكذا في خلال سنتين 1832. 1834 استرجع الأمير عبد القادر ثلاث مدن رئيسية هي تلمسان، ولمدية، ومليانة كما حاول تحرير وهران، ومستغانم، وأرزيو.

---

français et les arabes en Afrique du nord, trad fondation Emir Abdelkader.s. éd, Editions Anep, Ruiba ,2001, p27.

(1) الأميرة بديعة الحسني الجزائري: **الأمير عبد القادر حقائق، ووثائق، بين الحقيقة، والتحريف**، د.ط، دار المعرفة، الجزائر، 2008، ص32.

(2) Yacin Kateb : **Abdelkader et l'independance algerienne**,2009, enag, p17

* ولد سنة 1779، وتوفي في باريس سنة 1845م، تطوع في الجيش الفرنسي، وعمره حوالي15 سنة عين حاكما لعمالة وهران سنة 1832. ينظر: إبراهيم مياسي: **بحوث في التاريخ السياسي للجزائر المعاصرة**، د.ط، دار هومة، 2013، ص69.

(3) Bellmare Alex, opcit : p61

(4) ناصر الدين سعيدوني: المرجع السابق، ص208.

اغتنم الأمير عبد القادر فرصة الهدنة مع الفرنسيين في إطار معاهدة ديميشال على إعادة تنظيم دولته الفتية، وإرساء قواعد الحكم الجديد في كل المناطق المحررة، والخاضعة لسيادته، وتقسمها إداريا إلى ثماني مقاطعات [1]وإخضاع القبائل المعارضة لسلطته، وسياساته، والمتمردة عليه، وربط علاقات دبلوماسية، وتجارية مع الخارج، وبناء قاعدة صناعة حربية، وذلك بالاستعانة بالخبرة الأوربية في هذا المجال.

جبل الفرنسيون على الخبث، والمكر، والخداع فراحوا يختلقون الذرائع، والمبررات لخرق معاهدة ديمشال، فبعد تعيين تريزال على راس قيادة الجيش الفرنسي بوهران سعى بكل الطرق، والوسائل لخرق المعاهدة [2]، لكن هذا الأخير جنى على نفسه جراء سلوكياته الرعناء تجاه الأمير عبد القادر، فتجددت الحرب مجددا، مع الفرنسيين، فألحق الأمير عبد القادر هزيمة ساحقة بهم في معركة المقطع 18 جوان 1835، كان لها صدى محلي، وإقليمي، ودولي.

لم يمهل الفرنسيون الأمير عبد القادر فترة ليجسد مشروعه النهضوي الإصلاحي، حتى فاجئوه بخرق عهودهم له، تحت طائل من الأكاذيب، والحيل لتحقيق مشروعهم الاحتلالي فلم يكن أمام القائد الجزائري إلا سبيل إعلان الجهاد ضدهم، فاصطدمت قواتهما من جديد في معارك عدة متفرقة انتصر فيها الأمير[3]مما اضطر فرنسا لعقد معاهدة التافنة 30 ماي 1837 [4]، معه ليستغل هذا الأخير فترة السلام القصيرة لترسيخ أسس الأمن، والنظام بين القبائل، وتنظيم، وتحصيل الضرائب منها، وتوفير الموارد المالية الضرورية لدولته الفتية.

---

[1] أنظر الملحق رقم02.

[2] أبو القاسم سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية 1830.1900**، ج1، دار الغرب الجزائر، ط1، 1992، ص176.

[3] عبد الأمير هويدي الحيدري: الأمير عبد القادر الجزائري، ودوره السياسي، والعسكري، في **مجلة جامعة بابل**، العلوم الإنسانية، العراق، مج17، ع6،2009، ص482.

[4] Azan, P : **cahiers du centenaire**, **de l'algérie**, g1, publications du comité métropole, de centenaire de l'algérie, paris, 1931. P73.

ج- نهاية مقاومته:

كان على الأمير أن يواجه مرة أخرى الخبث الفرنسي، الذي كان ورائه ساسة، وجنرالات فرنسيين، استغلوا ثقة هذه الشخصية فيهم فراحوا يختلقون الذرائع، والمبررات كعادتهم للتنصل من معاهدة التافنة[1] متناسين قيمة الشرف التي يتحججون بها، فاستأنفت الحرب بين الطرفين سنة 1255هـ/1839م لتدخل العلاقات الجزائرية الفرنسية مرحلة التشنج، والصراع من جديد، فعهد إلى الجنرال بيجو بتحقيق مشروع الاحتلال الشامل[2] سالكا في ذلك سياسة الأرض المحروقة، ويصف الشقراني في كتابه القول الأوسط أوضاع الأمير، ودولته في العبارات التالية :"**ثم أن السيد الحاج عبد القادر لما أراد الله إدبار دولته، وانقضاء دولته صار الفرنسيون يشنون الغارات على المسلمين، ويصكونهم بخيلهم، وأجلهم المرة بعد المرة فيقتلون المقاتل، ويسبون النساء، والذراري، ويأخذون الأموال، والأمتعة، وحصلت المشقة للناس، والتعب بتكرار الفرار، والجوع، والعطش..، وتفرقت عنه جيوش القبائل فلم يبقى معه إلا أهل الدواوين، والبعض من أعيان الناس...**"[3] فمن خلال هذه الصورة التي رسمها لنا المؤلف الذي عايش الظروف الصعبة التي مربها الأمير، ودولته منذ نقض الفرنسيين لمعاهدة التافنة يتبين لنا خلفيات توقيف الأمير لحربه ضد العدو الفرنسي فيما بعد.

---

(1) معاهدة التافنة لم يسر التعامل بها سوى سنتين، وخمسة أشهر، تعتبر حلقة هامة في تاريخ الجزائر لسببين أولهما: أنها النص الوحيد المعترف به من الحكومة الفرنسية كاتفاق رسمي بينه، وبين حكومة جزائرية في عهد الاحتلال، وثانيها: لأن نصوص المعاهدة كانت مثار جدل بين الطرفي، أضف إلى ما تقدم أن السنتين اللتين تبعتا معاهدة التافنة قد أتاحتا للأمير التفرغ لمقاومة عصيان القبائل، والطرق الصوفية، إضافة إلى بسط سيطرته على ثلثي الجزائر. ينظر: شرى خيربك: دراسة لبعض مغالطات المصادر التاريخية، وتناقضاتها (تحفة الزائر، ومآثر الأمير عبد القادر، وأخبار الجزائر نموذجا للدراسة، في **مجلة دراسات تاريخية** ع17، جامعة دمشق .18، كانون الثاني . حزيران,2012، ص ص425 .425.

(2) فؤاد صالح السيد: **الأمير عبد القادر الجزائري، متصوفا، وشاعرا**، د. ط1، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، 1985، ص56.

(3) أحمد بن عبد الرحمان الشقراني الراشدي: **القول الأوسط في أخبار من حل بالمغرب الأوسط تحق ناصر الدين سعيدوني**، ط2، البصائر للنشر، والتوزيع، الجزائر،2013.، ص39.

وجه الفرنسيون منذ1839 آلتهم العسكرية ضد تقويض مقومات استراتيجية الأمير عبد القادر العسكرية لنسف مشروع دولته، وتحطيم قوته متبعين في ذلك قاعدة الغاية تبرر الوسيلة، حيث استولوا على العاصمة معسكر، ومعظم المدن الأخرى في الغرب كتلمسان، وسعيدة، وتاكدامت، وهذا الضغط، والحصار أجبر القائد الجزائري على الانسحاب نحو الجنوب بزمالته، وفي 16 ماي 1843ضاعت زمالته في معركة عين طاقين في غيابه، وقد ذكر الشقراني زمالته قائلا بأنها: "**تحتوي من الذهب، والفضة مالا يحصى**"[1]، ليكون هذا السقوط نقطة تحول خطيرة في مقاومة هذا القائد العنيد، رجل التحدي.

التجأ الأمير عبد القادر إلى حرب الكر، والفر بعد سقوط الزمالة ليدشن استراتيجية هجومية جديدة ضد الجيش الفرنسي المسلح بأحدث الأسلحة، مواجها بين عامي 1845، و1846 ثماني عشرة فرقة عسكرية فرنسية، وكان الخيار أمام الأمير عبد القادر التنقل، والحركة، والبحث عن مناطق الراحة، واسترجاع الأنفاس لكن في سنة 1847م انقلبت موازين القوى في غير صالحه عندما تحالف مع الفرنسيين بموجب معاهدة لالا مغنية 18 مارس 1845م[2] ليقع بين فكي كماشة الفرنسيين، والمتعاونين معهم من جهة، والمغاربة من جهة أخرى الذين قطعوا عنه كل أشكال الدعم[3]، لتكون مشاداته، ومعاركه الأخيرة ضد سلطان المغرب الخائف على عرشه آخر فصل في مقاومته .

في سنة 1847 كان في موقف لا يحسد عليه، كيف لا، وقد انفضت من حوله القبائل، وتواطئ عليه سلاطين المغرب، ورغم نيته، وعزمه التخلي عن الإمارة، ومبايعة سلطان المغرب إلا أن مساعيه لم تنجح، وفي ذلك يقول صاحب كتاب المفاخر في معارف الأمير عبد القادر :"**ألهم الله تعالى الأمير صواب الرأي فضرب كل الدسائس بضربة واحدة، وهي تخليه عن الإمارة، وإعلانه**

---

(1) أحمد بن عبد الرحمان الشقراني الراشدي: المصدر السابق، ص39.

(2) ناصر الدين سعيدون: عصر الأمير عبد القادر، المرجع السابق، ص168.

(3) George,Yver: **correspandance du capitaine dumas consul à mascara** ، imprimeur,libraire de l'université,place du gouvernement, 1912, P (**1837_1839**، 200.

أن على الجزائر، والمغرب حكاما، وشعوبا، عليهم أن يواجهوا العدو الفرنسي تحت قيادة سلطان المغرب أو غيره .لكن شعب المغرب، والجزائر، وحاشية سلطان المغرب كانوا في واد، وما نادى به الأمير في واد آخر..."[1]وهذا ما يثبت لنا سذاجة وسطحية التفكير السياسي، والعسكري للقادة المغاربة الذين لم يقدروا حجم التحديات، والأخطار المداهمة إلا أنهم أعطوا قيمة لعروشهم على حساب شعوبهم، وهنا لا نلوم الأمير عبد القادر الذي، وعى حركة التاريخ جيدا، فعمل على تفعيل هذه الحركة، وتغيير مسارها، بفكره، وسيفه. إلا أن الأمير حسب ما يفهم من حروبه، ومواقفه اقتنع أخيرا أنه كان يواجه، وينازل حضارة غربية متطورة[2]، وليس مجرد دولة.

فلما أيقن بصعوبة إعادة بناء أسس دولة وطنية في ظل غياب إنسان جزائري واعي، وسيادة العقلية القبلية، والنفسية المهزوزة فأختار بإرادته بعد مشاورة أهله، ومن حوله توقيف الحرب، وعقد السلام مع الدولة الفرنسية التي استوثق نفسه عندها، وفي ذلك يقول الأمير عبد القادر ل ديماس* **Dumas**:"..، **والذي غرني، وأوقعني في يدهم دعواهم أنهم قوم لا ينقضون العهد، ولا يخلفون الوعد فإذا بهم لا عهد لهم، ولا ميثاق. بل عهدهم مكيدة، وخديعة** ..."[3]، ويقول في موضع أخر: "**وتلاشت الهمم، وتقاعدت العزائم، ونفذ ما كان عندي من المواد، والأسباب...**"[4] وكل هذا يفسر دوافع إقدام الأمير عن طواعية على استوثاق نفسه عند الدولة الفرنسية سنة 1847 م، والمتمثلة في: انخداع الأمير من النفاق، والخبث الذي لازم فرنسا منذ حربه معها، وضعف همة المقاومة الجزائرية، وركود العزيمة، وافتقاده لمقومات الدفاع عن الوطن.

---

(1) أحمد كامل الجزار: المرجع السابق، ص 35.

(2) محفوظ سماتي: **الأمة الجزائرية نشأتها، وتطورها**، تر محمد الصغير بناني، وعبد العزيز بوشعيب، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر،2009ص126.

* عين ديماس قنصلا لفرنسا لدى الأمير عبدالقادر بموجب معاهدة التافنة 1837 .ينظر: عبيد بو داود، معسكر المجتمع والدولة، تنسيق عبيد بوداوود، د.ط، منشورات مخبر البحوث الإجتماعية والتاريخية، ودار الرشاد للطباعة والنشر،2014 ص 100.

(3) محمد بن عبد القادر الجزائري: المصدر السابق، ص11.

(4) المصدر نفسه، ص10.

ويبقى العهد الذي أعطاه الجنرال لاموريسيار، والدوق دومال، وصمة عار في جبين فرنسا إلى اليوم حيث وعداه بالسماح له بالذهاب هو، وعائلته إلى القسطنطينية أو عكا أو الإسكندرية [1] مقابل إنهاء مقاومته، لكن الحكومة الفرنسية اختطفته بالمعنى الحقيقي للكلمة، ليجد الأمير نفسه مسجونا لديها في قصورها إلى غاية إطلاق سراحه سنة 1853، و توجهه إلى أرض المشرق، و بالتحديد في سوريا حيث عاش بقية حياته هناك إلى غاية، وفاته سنة 1883م، إضافة لذلك تلك الافتراءات، والأكاذيب التي تملأ بطون الكتب الفرنسية التي تتعمد طمس حقائق تاريخية عن نضال القائد الجزائري، وحول كيفية أنهاء حربه ضدها، ورغم هذه المحاولات أليائسة لطمس حقيقة بطولات الأمير عبد القادر فإن بصماته تأبى أن تمحى من الذاكرة، والكتب، وفي ذلك يقول مفتخرا بنفسه، وجيشه:[2]

وكان لنا دوام الدهـر ذكـــــر بذا نطق الكتاب، ولا يـــــزال
ومنا لم يزل في كـل عصـــــر رجال للرجـال هم الرجـــــال
لقد شادوا المؤسسين من قديم بهم ترقى المكـارم، والخصـــال
لهم همم سمت فوق الثـــــريا حماة الدين دابهـــم النضـــال
لهم لسن العلوم لها احتجـــاج وبيض مـــا يثلمها الـــــنزال
سلوا عنا الفرانسيس تخبرنكـم ويصدق إذا حكـت منا المقال
فكم لي فيهم من يوم حـرب به افتخر الزمان، ولا يـــــزال

فكل حرف من شعر، ونثر الأمير يفضح همجية دعاة حقوق الإنسان في العالم، فبعد الغدر، والخيانة، ونقض العهود الذي عاشه الأمير معهم، لم يفتأ الكتاب الفرنسيين عن تصوير الأمير على صورة المستسلم، والصديق لفرنسا، لكن شخصية الأمير أكبر من أن تطمس حقيقتها الإنسانية جرة قلم.

---

[1] بوعلام بسايح: **أعلام المقاومة الجزائرية ضد الاحتلال الفرنسي، بالسيف، والقلم،1830. 1954**، د.ط، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007، ص65

[2] . محمد بن عبد القادر الجزائري: المصدر السابق، ص299.

استنتاج:

و مما سبق نستنتج:

إن ظهور الأمير على مسرح الأحداث التاريخية في الجزائر يدخل في إطار الإرادة الشعبية الجزائرية التي لا تقهر.

– طبيعة الإنسان الجزائري تأبى الخضوع، والخنوع لأي سلطة أجنبية مهما كانت طغيان الظاهرة الهمجية، والقمعية، والاستعبادية على رقاب الجزائريين منذ 1830م بلغت حدا لا يطاق مما أدى إلى، ولادة الضمير الإنساني من جديد، داخل أفراد الأمة الجزائرية التي عرفت حركية نشطة ولدت ظاهرة إنسانية ممثلة في شخص عبد القادر ابن محي الدين.

تمثل بيعته سنة1832 م مرحلة تاريخية إنسانية، قطعت الصلة مع كل أشكال، وممارسات السلطة التقليدية في الجزائر، أعطي فيها الإنسان الحاكم، والمحكوم الفرصة لاختبار إرادتهما في مواجهة الضيم السياسي، والاجتماعي، والاقتصادي الممارس من قبل السلطة الفرنسية، تحكم المناخ الاجتماعي، والروحاني، والصوفي، والفكري في نسج، وقولبة شخصية ابن محي الدين.

تتكامل في شخصية الأمير عبد القادر الظواهر الدينية الروحية، والسياسية، والعسكرية، والصوفية، جامعة لصفات، ومؤهلات القيادة في ميدان الحرب، متفردا بسلوكه، ومعاملاته للأخرين من خلال أن سنة الحرب، وأخلقتها.

الفصل الثاني

فلسفة الإنسان والإنسانية في منظور الأمير عبد القادر

1. السياق المفهومي للإنسان والإنسانية

2. مكانة ودور الإنسان في منظور الأمير عبد القادر

3. المدينة الإنسانية بين الروح والعقل

4. الذات الأميرية والنظرة إلى الآخر

1. السياق المفهومي للإنسان والإنسانية:

ركز الأمير عبد القادر منذ بداية، وضع أرضية صلبة لمشروع بناء دولة جزائرية حديثة، على بناء إنسان جزائري كامل، ومتكامل، وعمل على خلق الظروف، والأجواء التي تسمح بتربيته، وتعليمه، وتثقيفه، ومنطلقه في ذلك نظرية الإنسان الكامل.

اعتبر الإنسان حجر الأساس في إنجاز أي نهضة، وتحديث أو تنوير، وعلى أساس المحورية التي يشكلها هذا الكائن المخلوق على الأرض بكل تفاعلاته، وانفعالاته، ايجابياته ، وسلبياته، خيريته، وشره، روحانيته، وماديته يصنع مساره بشكل إنساني أولا إنساني.

وقبل تبيان فلسفة الإنسان لدى الأمير ارتأينا البحث عن تعريف الإنسان لدى بعض الفلسفات، والمذاهب حيث تشتت الإنسان منذ قرون طويلة تحت مطارقها بحثا عن كينونته الحقيقية، وتجاذبته قوى مختلفة مدعية العمل لمعرفة حقيقته، وجوهره، نحاول أن نقتبس بعض الأراء، والمواقف، والتعاريف المختلفة حول ماهية الإنسان في الوجود، ومنها:

أ- مفهوم الإنسان لغة:

في اللغة الأجنبية اللغة الفرنسية: تعني الإنسانية **HUMANISM**[1] كل ما يتعلق بكرامة الإنسان، وفي اللغة العربية جاء مفهوم الإنسان في لسان العرب[2] أن أصله من النسيان لأن العرب قديما قالوا: أنسيان على، وزن أفعلان، وتعني النسيان، والعلة، عند معتقديها لكون آدم نسي ما عهد إليه من قبل الله، وقد قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا** ﴾[3]، وعليه سمي بذلك، والمعنى الثاني مأخوذ من الأنس، والألفة، وعلى وزن فعليان[4].

---

(1) Youssof, M, Reda : **dictionnaire francais_arab**, détaillé et illustré, sed, librairie du liban publishers,2005, p452. .

(2) ابن منظور: لسان العرب، ج1، دار، ومكتبة الهلال، د.ت، د.ط، ص170.

(3) **سورة طه، الآية 115**.

(4) ناجم مولاي: مفهوم الإنسان الكامل في الفكر الصوفي، في **مجلة العلوم الإنسانية، والاجتماعية**، ع7، جامعة عمار ثليجي، الأغواط، جانفي 2012، ص ص132.133.

ب–عند فلاسفة الإسلام:

يرى ابن رشد في مدينته الفاضلة، أن الإنسان مقسم إلى سر، وعلن، فالعلن هو المحسوس، والسر هو الروح، وهذا الإنسان لا يبلغ مرتبة الكمال إلا بالاجتماع "**وكل واحد من الناس مفطور على أنه محتاج في قوامه، وفي أن يبلغ أفضل كمالاته إلى أشياء كثيرة لا يمكنه أن يقوم بها كلها هو وحده. بل يحتاج إلى قوم يقوم له كل واحد منهم بشيء مما يحتاج إليه..**"[1]، ويفهم من كتابات الفرابي أن الخيرية الفضلى، والكمال الذي يبلغه الإنسان لا يكون إلا بالاجتماع، والتعاون لبلوغ السعادة في المدينة الفاضلة.

أما ابن خلدون فقد جعل الإنسان الأصل الذي تفرعت عنه أغصان شجرة فكره الوارفة عموما، والتربوي خصوصا كاشفا اللثام عن ماهية الإنسان الخليفة معتبرا "**الإنسان رئيس بطبعه بمقتضى الاستخلاف الذي خلق له** " [2]وبهذا خلق الإنسان للإستخلاف في الأرض، وهو جزء من الطبيعة يشترك مع غيره من الموجات "**إننا نشهد في أنفسنا بالوجدان الصحيح، وجود ثلاث عوالم: أولها عالم الحس، ونعتبره بمدارك الحس الذي شاركنا فيه الحيوانات بالإدراك...**"[3].

ابن باجة* اشتهر بفلسفته حول الإنسان باعتباره "**كائن حي يشارك الجمادات في أمور، وكل إنسان يشارك الحيوان غير الناطق في أمور، وهناك خصائص يشتركان فيها، وهي النفس**

---

[1] أبو نصر الفارابي: **كتاب أراء أهل المدينة الفاضلة**، تق، وتع ألبير نصري نادر، ط2، دار المشرق، بيروت، 2000، ص118

[2] عبد الرحمان ابن خلدون: **المقدمة**، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت،2000، ص117.

[3] لمرجع نفسه، ص182.

* هو أبو بكرمحمد بن يحي بن الصايغ المعروف بابن باجة ولد في سرقسطة نهاية القرن الخامس الهجري، وكلمة باجة معناها: الفضة باللهجة العربية الاندلسيةفي ذلك العصر، ويبدو أنه عمل في هذه المهنة مدة طويلة، رحل إلى فاس في عهد يوسف ابن تاشفين، وصار، وزيرا له، وهناك توفي مسموما سنة 553هـ/1138 م، وخلف، ورائه ما يقارب 105 كتاب، ورسالة. يظر: عبد الرحمان بدوي: **موسوعة الفلسفة**، ج1، ط 1، 1984، المؤسسة العربية للدراسات، والنشر، بيروت، ص11.

الغاذية، والمولدة، والنامية، والإحساس، والتخيل، والتذكر" [1]، لكن يمتاز رغم ذلك الإنسان عن الحيوان غير الناطق، وعن الجمادات، والنباتات بالقوة الفكرية، وهو لا يكون إنسان إلا بها.

أما ابن سينا فيعرف الإنسان في كتابه النجاة "**ليس الإنسان إنسانا بأنه حيوان أو مائة أو أي شيء آخر بل إنه مع حيوانتيه ناطق**" [2].

من خلال هذه الكتابات الإسلامية عند الفلاسفة، والمفكرين نفهم بأنها أعطت قيمة للإنسان، الذي كرمه الله بمميزات وصفات لا تنطبق على الكائنات الأخرى، وهي تتفق على أنه عبارة عن جسد، وروح، وبالتالي فمفهوم الإنسان لا يخرج عند المسلمين من ثنائية الروح، والمادة باعتبارهما وحدة، وأي خلل فيهما يؤدي إلى النزول إلى عالم الحيوانية.

ج- المذاهب الفلسفية ورؤيتها للإنسان:

- النظرة الأفلاطونية الأرسطية: تتسم النظرة المثالية اليونانية، والممثلة في أفلاطون* وأرسطو للإنسان على أنه خير بالطبع، مركب التكوين، وهو كائن اجتماعي له حريته لكن تبقى حريته مقيدة سبب التقسيم الطبقي للمجتمع.
- إن اليونان على الرغم من اهتمامهم بالعقل، وعلى الرغم كذلك من الفلسفة التي اشتهروا بها حتى باتت تنسب إليهم - لم يستطيعوا أن يرتقوا إلى المستوى الإنساني فينظروا إلى الإنسان

---

(1) عبد الرحمان بدوي: المرجع السابق، ص13.

(2) ناجم مولاي: المرجع السابق.

* ولد ارسطوطاليس في سنة 384 ق.م في شمال اليونان، التحق في سن الثامنة عشرة بأكاديمية افلاطون في اثينا سنة 366 ق.م، وتتلمذ طيلة عشرين سنة على يد معلمه افلاطون، ولم يغادر الأكاديمية الابعد، وفاة معلمه افلاطون سنة 347 ق.م، ليتحول إلى معارضة ميثالية استاذه، وينزع إلى المباحث الطبيعية أسس مدرسة اللوقيون محاضرا في المواضيغ الفلسفية، وافته المنية سنة 322ق.م عن عمر يناهز 63 سنة، مخلفا اثاركثيرة في المواعظ، والمحاورات، والمنطق، والطبيعيات، والاخلاق، والسياسة، وعلم النفس، والخطابة، والشعر. ينظر: ماجد فخري، **أرسطاليس المعلم الأول**، د.ط، المطبعة الكاثوليكية، بيروت,1985,ص. ص15.10.

من خلال إنسانيته، بعيداً عن الاعتبارات الأخرى، بل كانت نظرتهم إليه من زاوية ضيقة هي الموطن، وقد ساقهم ذلك إلى تقسيم الناس إلى ثلاث فئات[1] هي:

- الأحرار
- العبيد
- الأجانب

بهذا ترتبط إنسانية الفرد في المجتمع اليوناني بالبيئة التي يعيش فيها، والألقاب التي يتحصل عليها من خلالها.

- مدرسة التحليل النفسي عند فرويد**Freud**: ينظر إلى الإنسان كونه حيوان له غريزة جنسية، تفسر السلوك الإنساني كله، وركز على جانب واحد تقوم عليه الطبيعة الإنسانية، وهو الليبيدو الطاقة الحيوية، والتي تتمثل في عنصرين هما: الجنس، والعدوان[2]. أمابرتراند راسل* **Bertrand Russell** في كتابه تحليل العقل فإنه يمزج بين الاتجاه المادي السلوكي في علم النفس، وبين الاتجاه اللامادي في علم الطبيعة، بين الإنسان الذي يعد سلوكا صرفا في رأيه يخضع للملاحظة الخارجية، والإنسان ب وصفه أحداثا نفسية لا يدركها إلا صاحبها إلا بالملاحظة الباطنية دون أن تظهر للمشاهد الخارجي في صورة سلوكية [3].

---

(1) صالح بن أحمد الشامي: الإنسان في العالم القديم عن اليونان، مقال ,2017/11/11.
http://www.alukah.net/culture ، بتاريخ 20 مارس 2018، الساعة 07 :30.

(2) أروى طارق التل: **ملامح الطبيعة الإنسانية في القرآن الكريم**، بحث مقدم من أجل استكمال متطلبات الحصول على شهادة الماجيستر في الآداب، قسم اللغة العربية، جامعة جنوب إفريقيا، سبتمبر2004، ص10.

* برتراند راسل: شيخ الفلاسفة المعاصرين تبحر في مجالات معرفية كثيرة ولد في عام 1872 ,، وتوفي عام 1970 م، وينحدر من عائلة أرستقراطية، وكان من دعاة السلام، أنشأ مؤسسة السلام أخذت تقود الحملات ضد كل ما يهدد سلام الإنسان، وحريته، وتقود المظاهرات ضد، وسائل التدمير النووي. ينظر: محفوظ كامل: **أعلام الفكر الفلسفي المعاصر**، ط1، دار الجيل، 1993، ص17.

(3) المرجع نفسه، ص32

- في نظر الفلسفة الوجودية، والتي يمثلها فريدريك نيتشة **Friedrich Nietzsche** الذي ينظر للإنسان نظرة خاصة حيث يرى بأن الإنسان الأعلى هو ذلك الموجود الذي يحيا في الأطراف البعيدة، والذي ينبغي أن يختار ذاته، وألا يختارها إلا لكي يثبت إلى ما، ورائها باستمرار، والإنسان في حد ذاته مستقبل لا يمكن اللحاق به [1]، والملاحظ على نيتشة أنه أنكر المعتقدات الدينية، والألوهية لأنها تقف عائقا أمام تطور عقل الإنسان، وينتقد المسيحية لأنها لم تسمح بأن يتجاوز الإنسان نفسه، وقيدت تفكيره، وحركيته.
- عند جون بول سارتر**Jean Paul Sarter** الإنسان هو: "**الكائن الذي يفتح ثغرة في هذا الوجود الضيق المكتل الممتلئ بنفسه، والذي هو في هوية مع ذاته، والشعور هو الذي يفتح باب العدم في العالم، وبالحرية يجئ العدم إلى العالم** ..."[2]، ويربط صاحب الفلسفة الوجودية ماهية الإنسان بحريته، فلاتميز بين حرية الإنسان، ووجوده، فالإنسان هو حريته لأن هذه الأخيرة هي الشعور ذاته، ولا يمكن أن يعيش الإنسان بلا حرية. كما تعتبر نظرته للإنسان، والوجود إلحادية، بإيمانه أن الوجود في الإنسان سابق لماهيته "**فما الإنسان إلا ما يصنع نفسه، وما يريد نفسه، وما يتصور نفسه بعد الوجود**"[3].
- الفلسفة الماركسية: يرى كارل ماركس **Karl Markx** أن الإنسان مادة، ومادامت هذه الأخيرة في حركية، وتغير باستمرار، فإن سمته الخاصة هي العمل الذي يخلق الإنتاج، ومحور نظرية ماركس تدور حول تقديس المادة، وإهمال الجانب الروحي في الطبيعة الإنسانية، وشهيرة تلك المأثورة الماركسية "**أن المادة مستكفية بنفسها، مستغنية عن خالق يوجدها**"[4]، وهي بذلك تنفي، وجود الله، وتصفه بالرجعية، وعلى هذ الأساس تنعدم عندها ثنائية الطبيعة الإنسانية، واعتبرت أن الإيمان بالغيبيات ما هو إلا توجه العاجز نحو المجهول.

---

(1) محفوظ كامل: المرجع السابق، ص190.

(2) المرجع نفسه، ص218.

(3) يوسف كرم: **تاريخ الفلسفة الحديثة**، ط5,دار المعارف,1986 ,ص457.

(4) محمد عمارة: **التفسير الماركسي للإسلام**، ط1، دار الشروق،2002، ص.34

- الفلسفة المسيحية: تتناول هذه الفلسفة فقط ما هو متعلق بفكرة الخلاص أي تتناول الله وصفاته، والإنسان من حيث روحه وصلته بالله، وبالطبيعة [1] من حيث صلتها بالله تنظر الديانة المسيحية إلى الإنسان نظرة روحية متطرفة تقدس فيه الروح أكثر من الجوانب الأخرى، وكانت، وضعية الإنسان في العصور الوسطى بالنسبة للمسيحية كعبد للكنيسة مكبل بقيود عقائدية تمنعه من التفكير، والنقد، خاضعا خضوعا مطلقا لسلطانها دون أدنى اعتراض "**لكن مع مرور الوقت انتصرت المعرفة على سطوة الكنيسة، وأصبح نفوذ الكنيسة من التاريخ الماضي**"[2].
- النظرة البراغماتية* : إن ما يميز هذه الفلسفة أنها تنظر إلى الإنسان ككل متكامل، وليس كأجزاء منفصلة عن بعضها البعض، كل فرد له خصائصه الفردية، ومؤهلاته الخاصة به، كما أن له، وجوده الخاص به ضمن النوع الإنساني العام[3]، وهذه الرؤية للفرد على أنه من نوع تجعل منه شيئا ذا قيمة، يستحق العناية، والاهتمام، وهي في نظرها يستحيل على الإنسان الوصول إلى حقيقة ثابتة، وأنه بالتجربة، والبحث العلمي نصل إلى أفضل من ذلك، أما مسألة الأخلاق عنده فهي تخضع للتطور، والتغير.

---

(1) عبد الرحمان بدوي: **فلسفة العصور الوسطى**، ط3، وكالة المطبوعات، الكويت، 1979، ص05.

(2)أحمد ديدات: **خمسون ألف خطأ في الكتاب المقدس، وحوار البابا مع المسلمين**، تر رمضان الصفناوي، المختار الإسلامي، د.ط، د.ت، ص24.

* البراغماتية pragmatism : اسم يطلق على عديد من الفلسفات المختلفة التي تشترك في مبدأ عام، وهو أن صحة الفكرة تعتمد على ما تؤديه هذه الفكرة مهما كان نوعها، وعلى ما تؤديه من نتائج علمية ناجحة في الحياة، وقد ظهرت هذه الفلسفة في الولايات المتحدة في أواخر القرن التاسع عشر، و كان أول من أطلق عليها البراغماتية الفيلسوف، والعالم الأمريكي تشالزساندرزبيرسch.s,p,pirce(1839 . 1914)، ومن أعلام هذه المدرسة كذلك وليمس جيمس w,jamesوجون ديويj,dewey.ينظر: محمد مهران، ومحمد مدين: **مقدمة في الفلسفة المعاصرة**، دار قباء للطباعة، والنسر،د.ط،2004، ص42.

(3) محمد عطا محمد أبو سمعان: **منزلة الإنسان، ووجوده في المذاهب الفكرية المعاصرة**، دراسة نقدية في ضوء الإسلام، رسالة ماجيستر في العقيدة، والمذاهب، والمعاصرة، قسم العقيدة، والمذاهب المعاصرة، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية، غزة، 2011، ص34.

2. مكانة ودور الإنسان في منظور الأمير عبد القادر:

أ- مفهوم الإنسان لدى الأمير:

تأتي هذه المقاربة كمحاولة لفهم صورة، ومكانة، ودور الإنسان في مخيلة الأمير عبد القادر انطلاقا من فلسفة تعكس شخصية مسلمة، عالمة، منفتحة على روح العصر، مؤمنة بالتنوع، والتعدد تكره التزمت، والتقوقع على الذات، والانعزالية عن تفاعلات حركية التاريخ، وعن مقت الحضارات الإنسانية، ويعد الأمير عبد القادر من الشخصيات الفريدة، والاستثنائية التي سطع نجمها في الأفق المغاربي، والعربي، والإسلامي.

تعرض الأمير عبد القادر لمسألة الانسجام بين الروح، والمادة فنظر إليها نظرة إسلامية معتدلة تستلهم التوفيق بينها، وبين أن الانسجام النفسي، وما ينتج عنه من سلوك، وأخلاق في الحياة العلمية، وفيما ينتظر الإنسان من جزاء، إنما يحصل بالتوفيق بين الروح، والمادة [1].

قد تجاوز الحد الإنساني للبحث عن ماهية الوجود، وصولا للمثالية فيما وراء الطبيعة المتسعة لرغبات التحرر[2] .

تحدث الأمير عن الإنسان الذي كرمه الله بملكة العقل عن سائر المخلوقات في هذا الوجود، باعتباره أساس كل عملية حضارية دون النظر إلى ملته أو لسانه أولونه أو عرقه، ويحتفي الأمير بتكريم الخالق عز، وجل من منطلق شرف الخلافة في الأرض التي حازها الإنسان بصفات كينونية يتفق فيها الحيوان، والنبات، والجماد، وتجعله مرتفعا في ملكوت العالم الرضواني، والملأ الرحماني[3].

---

[1] رابح بونار: الأمير عبد القادر حياته وادبه(1808.1807)، في **مجلة أمال**، ع08، 05جويلية، و1970، ط2، الشركة الوطنية للنشر، والتوزيع، ص24.

[2] لوت زينب: أقاليم الروح في التصوف الإبداعي، والإبداع الصوفي عند الأمير عبد القادر، في **مجلة مقاليد**، ع09، ديسمبر2015، جامعة عبد الحميد ابن باديس، مستغانم، ص139.

[3] بشير خليفي: الفلسفة الأخلاقية عند الأمير عبد القادر الجزائري، في **مجلة المواقف**، ع رقم09، ديسمبر2014، جامعة معسكر، ص210.

ـ يعرف الأمير الإنسان فيقول: "**اعلموا أن الإنسان من حيث حصوله في الحيز، والمكان، فجسم كسائر الأجسام، ومن حيث يتغذى، وينسل فنبات، ومن حيث يحس، ويتحرك فحيوان**"[1]وهنا يقر الأمير بأن الإنسان كغيره من الكائنات المخلوقة يحتاج إلى الغذاء، والتناسل، والحركة، كالحيوان.

كذلك بالنسبة للأمير يشترك الإنسان مع سائر الموجودات في الأرض في أمور، ويختلف عنها في أمور "**وكذلك يشارك الجمادات، والحيوانات في أمور، ويفارقها في أمور هي خاصيته، وبها شرفه فيها حصل له الشرف**"[2]

إن رفعة، وسمو الإنسان عن الكائنات الغرائزية لا تكون له إلا بفضل شرف العلم الذي يتلقاه عن طريق ملكة العقل، وكلما ازداد الإنسان علما تدرج في مراتب الكمال[3]، وكلما خرج من دائرة العلم اعتراه النقص، وبالتالي أصبح ناقصا "**وإنما شرف الإنسان، وخاصيته التي يتميز بها عن جميع الموجودات هي العلم، وبها كماله، إذ كمال كل شيء إنما يكون بظهور خاصيته التي امتاز بها عن غيره، ونقصانه هو حق تلك الخاصية، فبقدر ظهور تلك الخاصية يطلق عليه اسم الكامل، وبحسب سترها فيه يخص باسم الناقص**"[4]، والإنسان الكامل هو الذي تظهر فيه صورة الله تعالى على الكمال لأنه مرآة الحق، يرى فيه الحق أسمائه، وأوصافه، والنفس التي تتحلى بالصفات، والأسماء كاملة تجعل من الإنسان كاملا[5].

إن الهدف من خلق الإنسان على هذه البسيطة من منظور الأمير عبد القادر هو معرفة خالقه، وعبادته من خلال النظر، والتبصر في آيات خلقه تعالى، ولما كان هذا الإكرام الإلاهي للإنسان من خلق، وأخلاق فإن "... **الأشخاص الإنسانية مشتركة في الإنسانية، ومتمايزة بخصوصيتها، وما**

---

(1) الأمير عبد القادر الجزائري: المصدر السابق، ص13.

(2) المصدر نفسه، ص13.

(3) حسن الضيقة: **الدولة العثمانية، الثقافة، المجتمع، السلطة**، ط1، دار المنتخب العربي،1997، ص36.

(4) الأمير عبد القادر الجزائري: المصدر السابق، ص13.

(5) أحمد كامل الجزار، المرجع السابق، ص102.

به المشاركة غير ما به المماىزة، فالإنسانية من حيث هي إنسانية مغايرة لهذه المشخصات..."[1].

ـ خاض الأمير الحكيم في مسائل الاجتماع الإنساني، وحاجة الإنسان للنظم، والقوانين، التي بها يضبط أفعاله، وتحمى، وتحفظ كرامته، وتعلى رايته في الوجود، ويعرفنا بأن الإنسان مدني بالطبع يحتاج إلى التمدن، والاجتماع مع أبناء جنسه، ومبنى هذا الاجتماع هو استعمال ما يوجب المحبة، والألفة ليحصل التناصر، والتعاون[2].

ب–دعوته إلى إعمال العقل:

نكتشف من خلال كتابات الأمير دعوته الصريحة إلى إعمال العقل، وتحريره لأن العقل هو القبس الإلاهي الذي يعين الإنسان على السمو بشرف إنسانيته إلى المراتب السامية، ويبعده عن قبول البدع، والخرافات، وعن مختلف ضروب الجمود، والتقليد التي تقيده، وتشل حركته، وقد ذكر في أشعاره أن الإنسان ليس بالظاهر أو الوجه، وإنما بالعقل، ومن مختاراته في ذلك قوله مفتخرا[3] :

وما المرء بالوجه الصبيح افتخاره ولكنه بالعقل، والخلق الاسمـــــــى

وإن جمعت للمرء هــذي، وهـذه فذلك الــذي لا يبتغــي بعده نعم

يعرِّف العقل فيقول: "**اعلموا أن العقل منبع العلم، وأساسه، ومطلعه، والعلم يجري من العقل مجرى الثمر من الشجر، والنور من الشجر، والرؤية من العين** ..."[4]، ويطلعنا كذلك عن المعاني الأربعة التي يختص بها عقل الإنسان "**واسم العقل يطلق على أربع معان بالاشتراك**..."[5] ، ويفصل فيها الأمير فنوجزها فيما يلي:

ـ استعداد الإنسان لقبول العلوم.

ـ قدرة العقل على إخراج العلوم إلى الوجود العلوم العقلية.

---

(1) الأمير عبد القادر الجزائري: ذكرى العاقل، وتنبيه الغافل، المصدر السابق، ص ص36 ـ37.

(2) المصدر نفسه، ص60.

(3) الأمير عبد القادر الجزائر: ديوان الأمير عبد القادر، المصدر السابق، ص45.

(4) الأمير عبد القادر الجزائري: ذكرى العاقل، وتنبيه الغافل، المصدر السابق، ص21.

(5) المصدر نفسه، ص23.

. دور، ومكانة العلوم التجريبية في تهذيب ملكة العقل.

. فضل العلوم العقلية في حياة الإنسان.

. يقسم العقول إلى قسمين متفاوتين حسب خلقة الله تعالى"... **فعقول الأنبياء ليست كعقول سائر الناس...**" [1] كما قسم العقل تقسيما علميا إلى عقل نظري، وعقل عملي.

يشير كذلك الأمير إلى القوى الأربع التي خص بها الإنسان، والتي تصنع منه إنسانا كاملا إذا ما اكتملت فيه "، و**هي قوة العقل، وقوة الشجاعة، وقوة العفة، وقوة العدل...**"[2].

ج- شرف العلم

يؤكد لنا الأمير فضيلة العلم، والتعليم، منبها إلى أن تفوق، وتميز الإنسان لا يتحقق إلا بفضيلة العلم، وكمالها لا يتم إلا بالمعرفة، وأن هذه الفضيلة هي الغاية التي يجتهد، ويجد في سبيلها الإنسان دون غيرها من الغايات المادية [3].

إن شرف الإنسان، وخاصيته المتميز بها عن كل الموجودات هي تحصيل العلم، وكمال الإنسان ألا يكون إلا بظهور هذه الخاصية، وبنقصانها يتحول إلى ناقص لا قيمة لحياته في هذا الوجود، وطلب العلم في ذاته هو غاية الوجود، وكل علم من العلوم التي استحدثها الإنسان لها ثمرتها، ويسهب الأمير في تعديد فروع العلم كعلم الأحكام الشرعية، وعلم الطب، وعلم الحساب، وعلم التنجيم، وعلم الحساب، ورغم تعدد، وتشعب كل هذه العلوم إلا أن الأمير ينتقي من بينها علم الدين الذي هو أشرف العلوم لأنه "**سبب لسلامة ابديه لا تنقطع**". [4].

بهذا فالباحث عن المعرفة في نظر الأمير يجني المنفعة في سياقها النظري، والعملي، وفي بعديها الاجتماعي، والفردي، والتعالي عن طلبها يخلف إنسانا قبيحا مذموما محروما من لذته المثلى [5].

---

[1] الأمير عبد القادر: ذكرى العاقل، وتنبيه الغافل، المصدر السابق، ص26.

[2] المصدر نفسه، ص30.

[3] رابح بونار: المرجع السابق، ص24.

[4] الأمير عبد القادر الجزائري: المصدر السابق، ص22.

[5] ودان بوغفالة، المرجع السابق، ص 144.

3. المدينة الإنسانية بين الروح والعقل:

إن القارئ، والمتمعن لما جادت به قريحة الأمير عبد القادر من خلال أثاره المكتوبة، سواء في نثره أو شعره يجدها تفيض إنسانية، وأساس هذه النزعة الروح، والعقل، وقد خاض الأمير في عالمي الروح، والعقل، والإنسان الكامل، وخلافة الأرض، وكانت أفكاره حولها ذات صبغة روحانية صوفية من منطلق تكوينه، وخلفيته الثقافية، والدينية. إن مفهوم المدينة الإنسانية، استفرد به الأمير عبد القادر في كتابه المواقف الروحية، والفيوضات السبوحية، ونتلمس من خلال قراءة أسلوبه، وألفاظه، وأفكاره تلك الصبغة الصوفية التي اصبغها عليه، ليقودنا إلى عالم الروحانية، والتصوف، ومدينته الإنسانية التي بنيت على ثلاثة أسس، وركائز هي: العقل، والروح، والنفس.

أ- الروح:

يشبه الأمير عبد القادر الصورة الإنسانية بالمدينة بعث فيها الله الروح، وجعل منها خليفة في الأرض وعين فيها موضعا لأوامره، ومحلا لخطابه، ونفوذ أحكامه سمي بالقلب [1] " **أعني القلب النباتي الذي هو مضغة لحم، في الجانب الأيسر، وهو لا فائدة فيه إلا من حيث أنه مكان لهذا السر المطلوب المتوجه عليه الخطاب، وهو المجيب إذا ورد عليه السؤال، وهو الباقي إذا فني الجسم، والقلب النباتي**"[2]، وبالتالي يعد القلب أحد أركان هذه المدينة التي تقوم عليه، ويعد الدماغ الذي استودعه الله في خليفته بمثابة مستقر، وخزانة لكل الأفكار.

تشكل الروح في نظر الأمير مصدر جوهري، وحيوي تمد المدينة الإنسانية بعوامل الحياة، والقدرة، والسمع، والبصر، والسمع، وتمد خزانة الخليفة بالعلم، وتوجهه نحو كيفية تدبير المدينة الإنسانية[3].

---

[1] الأمير عبد القادر الجزائري: **المواقف الروحية، والفيوضات السبوحية**، ج1 د.ط، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ص580

[2] المصدر نفسه، ص 580.

[3] نفسه.

أعطى الأمير عبد القادر أوصافا للروح ليميز أهميتها، ودورها في هذه المدينة، فهي في نظره برزخ بين ظلمة الكون، ونور العقل[1]، وهي الخليفة لها، وظيفة إصدار الأوامر، ولها الاحتجاب، وهذا تشبيه للروح، وإظهارها بمقام حاكم المدينة، الذي يحتاج مضطرا إلى، وزراء، ومستشارين ليعينوه في أمر السياسة، والتدبير، والتخطيط.

تكمن أهمية الروح في إمداد المدينة الإنسانية، والروح الآدمية بالحياة، والقدرة على أداء الوظائف الحسية من لمس، وسمع، ورؤية، وشم، وتزويد العقل بالمعارف المتنوعة[2]، بحكم أن سياسة المدينة عن جهل يفضي إلى خرابها أو دمارها، أو التقصير في إدارتها.

تعجز الروح في الحقيقة عن تدبير المدينة الإنسانية، ورعاية شؤونها في حال غياب، وزيرها العقل، فتكون بذلك من جملة البهائم التي يغيب فيها النظام، والانقياد لسلطة واحدة، وفي حالة ما أن غلبت الروح على الإنسان نقص كماله أو أدى إلى انعدامه أو فساد علاقته العبودية مع الله[3].

ب–العقل:

نجد لملكة العقل في فكر الأمير عبد القادر أهمية كبيرة سواء من خلال مؤلفاته أو إشعاره، فكان فيلسوفا متصوفا إن صح التعبير، وقد سبق لنا أن أشرنا في المباحث السابقة إلى مفهوم العقل في معرض حديثنا عن مفهوم الإنسان لدى الأمير عبد القادر إلا أننا سنقتصر على ذكر دوره داخل المدينة الإنسانية.

يوجد داخل المدينة الإنسانية بناءات أو خزائن، ومن بينها خزينة الدماغ الذي فتح الله فيه للإنسان طاقات لإدارة المدينة، والمتمثلة في الحواس، وفي مقدمة الدماغ بنى له متنزها ألا، وهو الخيال، هذا الأخير بمثابة مستودع يخزن ما يسمع، ويبصر، ويشم، ويتذوق، ويلتمس، وباختصار هي خزانة الحس المشترك [4] .

---

[1] الأمير عبد القادر الجزائري: **المواقف الروحية**، المصدر السابق، ص584.

[2] المصدر نفسه، ص580.

[3] المصدر نفسه، ص582.

[4] الأمير عبد القادر الجزائري: المواقف الروحية، والفيوضات السبوحية، المصدر السابق، ص580.

بنى الله في وسط الدماغ خزانة الفكر، وهو محل، ومستقر يتم فيه غربلة الصحيح من العليل أو الفاسد، كما بنى له خزانة الحفظ التي تمثل مستقر كل المحفوظات.

شبه الأمير عبد القادر العقل بالوزير الذي يأتمر بأمر الخليفة الروح "... **ليكون، واسطة بينه، وبين رعاياه، أكرم الله به خليفة الأرض** "[1]، وبهذا يقوم العقل بوظيفة، وزير الخليفة لإدارة المدينة، كما يتميز العقل بتلك القابلية لاكتساب العلوم، وتحصيل المعارف.

يشبه الأمير العقل بمنزلة القمر، الذي يستمد نوره من الشمس، وبالتالي فنوره انعكاس لنور الشمس، وأيضا شبه بالبرزخ[2]بين النفس، وظهور الروح.

ج– النفس:

تشكل النفس في المدينة الإنسانية المقام الثالث نشأت عن العقل، كما نشأت حواء عن آدم، ويصفها الأمير فيقول: "**برزخ بين ظلمة الكون، ونور العقل**...**والنفس ظل الروح**"[3]، والنفس نور العقل، وهي بمثابة خادم للعقل، وبكمال العقل في تدبيره كملت النفس في خدمتها، والعكس صحيح[4]، والنفس الإنسانية بحاجة إلى غذاء روحي، وزاد معرفي حتى يحافظ الإنسان على كماليته، وفي حالة إذا أهمل نفسه أو عراها من فضيلة العلم لازمته صفة القبح[5].

ـ يعدد الأمير عبد القادر أنواع النفس[6]، وهي:

ـ النفس الجمادية.

ـ النفس النباتية.

ـ النفس الحيوانية.

---

(1) الأمير عبد القادر الجزائري: المواقف الروحية، والفيوضات السبوحية، المصدر السابق، ص 580.

(2) المصدر نفسه، ص584.

(3) المصدر نفسه، ص ص 583 . 584.

(4) المصدر نفسه، ص 584.

(5) الأمير عبد القادر الجزائري: ذكرى العاقل، وتنبيه الغافل، المصدر السابق، ص14.

(6) الأمير عبد القادر الجزائري: المواقف الروحية، والفيوضات السبوحية، المصدر السابق، ص583.

. النفس الإنسانية.

يتحدد دور النفس في "**الإدراك، والفعل، والتعلق بجسم تتصرف فيه، والنفس الكلية لا تقبل إلا تصرفا واحدا، وبالتالي فهي تصدر الأفعال، والحركات عن تميز، ونظر، وروية** "[1]، وأهم ما خص الله به النفس هو القداسة، تنفذ أمره تعالى بالعبد، ولها طريقان: أما إلى الملكوت، وهي بهذه الوجهة تمثل أمر الله، وروحه المقدس أو إلى الملك، وهي بذلك تكون قد نزلت إلى درك السافلين.

ونخلص إلى القول بأن الإنسان في المدينة الإنسانية يتشكل من ثلاث حلقات مترابطة لا انفصام بينها، وهي:

. العقل

. الروح

. النفس

هذه أركان المدينة الثلاث، لها الحكم، والتدبير، وكلها تشكل أنوارا أو مصابيحا تنير المدينة، وترشد الإنسان في طريقه لبلوغ غايته فيها هذه الغاية تدور حول صناعة إنسان على صورة كاملة، ليكون خليفة الله في الأرض.

[1] الأمير عبد القادر الجزائري: المواقف الروحية، والفيوضات السبوحية، المصدر السابق، ص583.

4. الذات الأميرية والنظرة إلى الآخر [1]

إن فكر الأمير عبد القادر المتشبع بمبادئ، وقيم الإسلام السمحة أثر في كتاباته، ومواقفه، ومراسلاته مع أعدائه الفرنسيين، وخصومه من القبائل المحلية، والطرقيين، والمنافسين له في الزعامة مما بلور الذات الأميرية السامية بنظرتها، وموقفها المتفتحة بفكرها، النبيلة بشعورها، وإحساسها، المعتدلة في سلوكها، ومعاملتها، في خضم التحديات الهوجاء، والواقع المأساوي الملبد بالمؤامرات، والاعتداءات، والخيانات، والتمردات، والذي صنعه العدو الأجنبي بوحشيته، وبخبثه المعهود، والخصم المحلي المنافس له في الزعامة، وجار مغربي جار في حكمه، وانقلب على إخوته الجزائريين في أحلك أيامهم في فتره عصيبة كان جهاد الأمير فيه يلفظ أنفاسه الأخيرة.

كانت الأنا الجزائرية الممثلة في شخص الأمير ذات عاطفة إنسانية قوية، تعطف على العدو، وعلى الشقيق الخصم، فلم تبطش هذه الأنا بالغير، ولم تسطو على الأملاك، والأرزاق إلا بما أحل، وأباح الدين أو الشرع، ولم تنتهك الأعراض، والحرمات. بل نهجت لنفسها صراط الحق، والصواب في فكرها، وممارساتها. تتشكل صورة الآخر في مفهومنا المعاصر وفق معايير التفوق، والعلو للثقافة،

---

[1] مفهوم "الآخر"، مفهوم أجنبي عن اللغة العربية (منقول إليها في الوقت الحاضر، نقصد بذلك أنه لم يكن يستعمل قديما في مقابل "الأنا"، وإنما كان يستعمل في معنى "أحد الشيئين"، دونما أفضلية: "رجل آخر، وثوب آخر" (آخر= أخر، على، وزن أفعل، والأنثى: أخرى.، واللفظ العربي القريب من مفهوم "الآخر"، بالمعنى الأوروبي، هو "الغير"، والجمع "أغيار"، مع هذا الفارق، وهو أن "الغيرية" في الفكر العربي الإسلامي لا تعني أكثر من مجرد "الاختلاف"، مع التأكيد على أنه مهما اتسع الاختلاف، وتعمق بين الأغيار، فـ"الغير" لا ينظر إليه على أنه ضروري للوعي بالذات، (ضروري لـ "الأنا"، كما رأينا في الفكر الأوربي. إن "الغيرية" في العربية تقع على مستوى الصفات فحسب، ولا ترقى إلى مستوى الجوهر كما في اللغات الأوربية، ونقرأ في معاجم اللغة العربية: "غَيْرٌ: من حروف المعاني، تكون نعتاً فيوصف بها، ويستثنى ..."، وتكون بمعنى لا، وبمعنى ليس، وبمعنى سوى، كما تكون اسماً يفيد معنى مجرد الاختلاف، تقول: مررت بغيرك، وهذا غيرك ... هذا على مستوى اللغة، أما على مستوى المفهومية، أو التصور المجرد، فمعنى "الغيرية" في المرجعية العربية الإسلامية، على درجات، تختلف باختلاف موقف الآخرين. ينظر: محمد عابد الجابري، مفهوم الغيرية بين الإسلام، والغرب .
alterite_islamoccidant.htm/www.aljabriabd.net//http:

والفكر الغربي، فالأخر منتج، ومنظم، متحضر، ديمقراطي، حقوقي.[1] وبهذه الأوصاف تمثل الغيرية المحور، والمركز، والقطب الذي تدور في فلكه الأنا / المغلوب، والمقهور، والمتخلف.

وعادة ما ينظر الأنا إلى نفسه على أنه الأكمل، والأصوب، والأفضل، والأخر هو الناقص، والخاطئ، والأسوأ، وهذه النظرية العدائية أو الضدية بين الأنا، والأخر هي مصدر تعدد الأنا، والآخر في مجالات السياسة، والفكر، والفلسفة، والأدب إلى غير ذلك من مجالات الحياة، والمعرفة.[2]

أ- صورة الأنى الإيجابية في كتابات الأمير عبد القادر:

تعبر كتابات، وخطابات، ومراسلات، وأشعار الأمير عبد القادر منذ بزوغ نجمه فوق مسرح الأحداث عن ذات متواضعة، ومعتدلة في أراءها، ومواقفها، ومنفتحة على روح العصر، ومتفاعلة مع تياراته الجديدة، وتظهر صورة هذه الذات الأميرية من خلال نماذج انتقيناها من مدوناته النثرية، والشعرية.

نجد ذات الأمير القائدة تتسع زمانا، ومكانا لغيره دون نفي أو إقصاء، وإنكار، والدليل على ذلك مدى وعيها بالماضي، والحاضر، والمستقبل، آخذة بعين الاعتبار مبدأ السلم كمنهج، وسياسة، وأولوية اعتقادا، وتفكيرا، ومعاملة، فالأمير عبد القادر في الكثير من مراسلاته مع الفرنسيين يلح على قيمة السلم /الصلح كحل لأن يتقبل الأنا الآخر في اطار يتقاسمه الجوار، والحوار، حيث تتكرر مصطلحات الصلح، والسلم في كتاباته، ومثال ذلك مراسلته إلى القنصل الأمريكي بالجزائر كازماني يطلب فيه أن يكون راعيا لمصالح الدولة الجزائرية عند فرنسا "...**وبعد منذ أن وقع الصلح بيننا، وبين دولة فرنسا، ونحن نسأل عمن يكون لنا، وكيلا في الجزائر، وواسطة بيننا، وبينهم في دوامة الالفة، والمواصلة** ..."[3]،لكن فرنسا بمناوراتها المعهودة، تذرعت بعدم مشروعية قرار تعيين قنصل أجنبي لخدمة مصالح الدولة الجزائرية الحديثة مع الخارج .

---

(1) منشورات، وزارة المجاهدين: الاستعمار، وزمن الحقيقة، قيم الاعتراف، والتواصل مع الآخر، جمع، وتنسيق المركز الوطني للدراسات، والبحث في الحركة الوطنية، وثورة أول نوفمبر1954 ,02. 03 جويلية 2006، د.ط، الجزائر، 2007 ,ص125.

(2) خليل عودة: محاضرة، جدلية العلاقة بين الأنا، والآخر في سيناريو جاهز لمحمود درويش، جامعة النجاح، ص01.

(3) الأمير محمد بن عبد القادر الجزائري: المصدر السابق، ج1، ص217.

لا نستغرب من الأمير على إلحاحه على فرنسا من أجل تغليب مصلحة الشعبين الجزائري، والفرنسي ودعوتها للعيش المشترك في كنف السلام، والأمن، وهذا ما نقرأه من خلال مخاطبته للدولة الفرنسية بأسمى عبارات الاحترام، والتقدير بعيدا عن أسلوب التعالي، والفوقية، ونسرد نماذجا من هذه الخطابات، ومنهاما كتبه إلى الجنرال ديمشال بتاريخ 10 ذي الحجة 1249هـ ما يلي: "**من أمير المؤمنين مولانا السيد الحاج عبد القادر نصره الله أمين غلى غاية، ودنا عظيم الجيوش الفرنسية بوهران الجنيرال دي مشيل..، وهذا من حسن نيتك، ومحبتك معنا، ولازلنا على المودة، والعهد، والميثاق، وكل ما تحتاجه أنت في بلدنا على الراس، والعين نقضيه لك، ونقدمك فيه على مصالح أنفسنا**"[1]، وبهذا فهو يخاطب عدو بضمير الإنسان المسلم، وبقلب، واسع حتى، وهو في أحلك الظروف، واقسى المواقف، وفي هذه الرسالة، وغيرها يذكر الأمير فرنسا بصفات، وقيم الشرف، والعظمة التي تليق بها .

مما يلفت الانتباه في مراسلات الأمير عبد القادر للمسؤولين الفرنسيين، ولزعماء، وملوك أوربا أنه يخاطبهم بذات متواضعة، مستخدما ألفاظ، و عبارات لبقة، فلا نجد في مقدمة رسائله مما يدل على الافتخار بألقاب الملك، والسلطنة عكس ما نجده في رسائل ملوك فرنسا، وأروبا التي نقرأ فيها تعظيما، وتقديسا للذات، وللمنصب، وكل ما يصادفنا في أول سطر من رسائل الأمير يدور حول ذكر الاسم الذي يوحي بدوره كأمير للجهاد، وليس كملك أو سلطان للعرب، ونذكر على سبيل المثال لا الحصر ما كتبه الأمير للجنرال ديميشال حول المؤامرة التي حاكتها قبائل الدوائر، ومحاولة الانقلاب عليه، وبعثهم لوفد إلى ديمشال لإقناعه بالتخلي عن الأمير، ورفض ديمشال لذلك حيث قال في رسالته: "**الحمد لله وصلى الله على سيدنا، ومولانا محمد، واله من أمير المؤمنين مولانا السيد الحاج عبد القادر مصره الله، أمين إلى عظيم القسيسين، والرهبان ديميشيل جنيرال وهران،**

---

[1] عبد الحميد زوزو: **مراسلات الأمير عبد القادر مع الجنرال ديمشيل، ووثائق خاصة بتاريخ الجزائر في عهد الأمير**، ط5، دار هومه، الجزائر، 2012، ص80.

السلام على من اتبع الحق، ورحمة الله، وبركاته، وبعد فقد أعلمنا محبنا الميلود بن عراش أنك أمسكت الحاج بقادة، ومن معه لما قدم عندكم للتخليط ..."[1].

إن ذات الأمير لا ترى في نفسها إلا قائدة للجهاد، وناصرة للدين، فرسالته إلى بيجو بتاريخ 10 جمادى الأولى 1247هـ/جوان 1841 م نجد فيها ما يدل على ذلك "**من ناصرالدين عبد القادر بن محي الدين إلى الماريشال بيجو أما بعد: فإن كانت دولة فرنسا ليس عندها من الأرض ما يكفي رعاياها، وأرسلتكم لتغتصبوا أراضينا، وتبذلوا في ذلك نفوسكم، وأموالكم ..، ونبقى معها في حال جيران ينتفع بعضهم من بعض**"[2].

استمرت المناورات الفرنسية التي كانت بأساليب خبيثة، مارسها قادتها، وجنرالاتها في الجزائر، ديدنهم في ذلك الغاية تبرر الوسيلة، فهم لا يرون في الصلح مع الأمير إلا مرحلة تهدئة مؤقتة، تسترجع فيها الأنفاس، وتستجمع فيها القوى، حتى تحين لحظة الانقضاض على الأمير عبد القادر، وخير مثال على ذلك التفسير الغامض للفرنسيين لمعادة التافنا 1837، للتملص من بنودها، مما دفع بالأمير إلى مكاتبة الملك الفرنسي، وتذكيره، بعهد الصلح بين الدولتين "**قد كنت بعثت لجلالتكم برسالتين ذكرت فيهما ما هو واقع بيننا، وبين عمالكم في الجزائر من الوحشة، ورغبنا في زوالها من لدن جلالتكم بوجه العدل، والإنصاف**..."[3]، مما يؤكد لنا مدى تفهم شخصية الأمير للظروف، والأوضاع التي تحكم، وتسود العلاقات بين الطرفين بعيدا عن استعمال لغة التهديد، والتهور.

تنطوي رسائل الأمير عبد القادر المتبادلة مع رؤساء حكومات فرنسا، وقادتها العسكريين عن خاصية، وهي حنكته السياسية، و بعد النظر، وعند مراجعة تلك المراسلات، خاصة مع الجنرال بيجو نجد تلك الأنا المتميزة بالصراحة، والواقعية، والتوق للتعايش السلمي عكس الطرف الآخر

---

[1] عبد الحميد زوزو: المصدر السابق، ص101.

[2] يحي بوعزيز: **الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري**، د.ط، الشركة التونسية للكتاب،1983، ص101.

[3] الأمير محمد بن عبد القادر الجزائري: المصدر السابق، ج1، ص103.

الذي يقابل بسياسة فرق تسد مستبيحا الأرض، والعرض، معتمدا الكذب، والنفاق، والتحايل، والخدع، وهذا نص رسالة وجهها الأمير عبد القادر إلى بيجو 1842م جاء فيها "...**ودولتكم تدعي أنها أول دولة تحب الإنصاف، وتستعمله، وتحافظ على ميزان العدل، وتحكم به، ففعلها هذا يكذب دعواها، ويبطل مدعاها**..."[1].

لقد كان الأمير عبد القادر يحارب على جميع الجبهات، والأصعدة مقدما فكره على سيفه وحكمته على قوته، وعقله على عاطفته، ففي وقت كان يعرض الصلح، والسلم مع العدو الفرنسي كان يحاول جذب أعدائه، وخصومه من شيوخ الطرق الصوفية، وزعماء القبائل إلى صفه بالليونة، والمرونة، إلافي بعض الأحيان كانت تدفعه الغيرة على الدين، والوطن ساعيا إلى استعادة وحدة الأمة، وتماسكها، وبعث الدولة الجزائرية من جديد إلى استخدام القوة محترما قواعد الحرب، فكثيرا ما كان يعطف على القبائل الممتنعة عن دفع الضرائب إذا عرف السبب، وخاصة اذا كانت تعيش ظروف صعبة مثل قبائل، ولاد سيدي الشيخ التي يقول عنها" **لكن كل بني ولد سيدي الشيخ اعترفت بسيادتي، وكخط مرابطين خففت بدوري الضرائب عنهم، وكانت قرى الصحراء المحصنة لا تدفع إلا القليل نظرا لفقرها** "[2].

ب–اليهود والمسيحيين في فكر وكتابات الأمير عبد القادر:

إن الاعتدال الديني ، والفكري، والسياسي أحد العوامل التي أعطت شخصية عسكرية، وسياسية ، ودينية عظيمة متفردة بخصوصياتها على مستوى التفكير، والممارسة، ويبدو أن المنابع الدينية، والصوفية، والفكرية، والثقافية التي تشبع منها عقل الأمي، هي من تحكمت في نظرته للأخر المسيحي، واليهودي أو غيرهم من الملل، والنحل، فكان منطلق هذه النظرة لديه يتمثل في المصدر الواحد للديانات الثلاث: الإسلام، ، واليهودية، ، والمسيحية ، وفي ذلك يقول الأمير عبد القادر

[1] يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص101.

[2] برونو اتين: الأمير عبد القادر الجزائري، تر، ميشيل خوري، ط1، 1997 م، دار عطية للنشر، ص169.

"**أساس الديانة، وأصولها خلاف فيها بين الأنبياء من آدم إلى محمد، فكلهم يدعون الخلق إلى توحيد الله، وتعظيمه** "[1].

يعتبر الأمير عبد القادر أن الأديان السماوية كإرث روحي تشترك فيه الإنسانية جمعاء حين يقول: "**وإلى حفظ النفس، والعقل، والنسل، والمال، فهذه الكليات الخمس لا خلاف فيها بين الأنبياء، وجميع الشرائع متفقة عليها** "[2]، وبذلك يشرح الأمير أهمية رسالة الأنبياء التي كلفوا بها، والهادفة إلى حفظ الكليات الخمس للإنسان بغض النظر عن دينه أو جنسه، أو عرقه، أو لونه.

تطرق الأمير إلى التكامل بين الأديان السماوية كون عيسى عليه السلام جاء مكملا لرسالة موسى عليه السلام لا مغيرا لها، ورسالة النبي محمد صلى الله عليه، وسلم مكملة للشرائع السماوية التي سبقتها "، و**جواب النصارى لليهود هو جواب المسلمين للنصارى، والذي قاله المسيح قاله محمد**"[3]،فلا الإنجيل أبطل شريعة التوراة، ولا الإسلام أبطل شريعة الإنجيل.

كان الرجل متفهما لروح العصر، وحاجات التآخي بين الشعوب، والذي يلفت الانتباه في كتابات الأمير توظيفه لمصطلح التأخي بين شعوب أهل الإسلام، والمسيحية، وينسب إليه قوله: "**لو أصغى إليا المسلمون، والنصارى لرفعت الخلاف بينهم، ولصاروا إخوانا ظاهرا، وباطنا**"[4]، والذي يقرأ، ويتمعن في مقولة الأمير عبد القادر ليجد شخصية ممتلئة بالإنسانية، مطلعة على التيارات الفكرية، ومواكبة للعصر.

---

[1] الأمير عبد القادر الجزائري: ذكرى العاقل، وتنبيه الغافل، المصدر السابق، ص71.

[2] المصدر نفسه، ص71.

[3] برونو ايتين: **عبد القادر الجزائري**، تر، ميشيل خوري، ط1، دار عطية للنشر، والتوزيع، لبنان،1997، ص259.

[4] عبد القادر شرشال: **شخصية الأمير عبد القادر من منظور الآخر**، تر أشهر مؤلفات الأمير من قبل الباحث الفرنسي جوستاف دوجا، ط1، دار سفيان للنشر، والتوزيع ,2014م، ص137.

إن قصائد الأمير الصوفية تؤكد في بعض منها على وحدة الأديان السماوية، فذاته الصوفية متقبله لكل ما هو مسيحي أو، ويهودي، بصدر رحب بعيدا عن التصلب، والتطرف، وفي ذلك يقول:[1]

فطورا تراني مسلما أي مسلم زهودا نسوكا خاضعا طالبا مـدا

وطورا تراني للكنائس مسرعا وفي وسطي الزنار أحكمته شدا

وطورا بمدارس اليهود مدرسا أقرأ تـوراة، وأبـدي لهـم رشــدا

ج- ضمير نحن عند الأمير في مخاطبة الآخر:

من اللافت للانتباه، أننا عند مراجعة مراسلات الأمير عبد القادر مع الفرنسيين، سواء كانوا قادة عسكريين أو سياسيين أو رجال دين، فإننا نتوقف على خطابه الذي يعكس نظامه السياسي، والعسكري، والإداري، والقضائي القائم على أساس الشورى، والمعبر عن روح الجماعة، التي تسبح في شخصية الأمير عبد القادر، والمميزة لدولته المؤسسة على دستور الإسلام[2]، ليكون بذلك معبرا بصدق عن الروح الجزائرية التواقة إلى الحرية، وإعادة بعث كيانها السياسي من جديد.

إن روح الجماعة التي كانت تقود الأمير في معاركه العسكرية، والسياسية، والدبلوماسية، وأيضا في مكاتباته النثرية، والشعرية تظهر من خلال ضمير نحن، والتكلم باسم الجماعة. هذه الأخيرة مجسدة في الأمة الجزائرية، التي دافع عنها الأمير بسيفه، وقلمه، ونسوق في ذلك بعض النماذج من كتابات، ومراسلات الأمير عبد القادر مع غيره من أعدائه من الفرنسيين أو المعارضين له من زعماء القبائل، والطرق الصوفية.

إن استعمال ضمير الجمع بدل ضمير المفرد في الكتابة، والتعبير عن الذات سلوك عربي أصيل يكون فيه المتكلم مشاركا، وقريبا من الآخر، فيكون ناطقا باسمه، وباسم غيره، ولا أحد أقرب إليه من المخاطب حتى يكون هذا الأخير عالما بما يخبره المتكلم، ومشاركا له فيه، فيكون ضمير الجمع .

---

(1) الأمير عبد القادر الجزائري: ذكرى العاقل، وتنبيه الغافل، المصدر السابق، ص89.

(2) إبراهيم مياسي: **روح الأمير عبد القادر عبر المقاومة الجزائرية**، د.ط، دار هومة، الجزائر 2012، ص166.

نحن ـ أبلغ في الدلالة على التواضع، والتأدب من صيغة المفرد ـأنا ـ، ولا دلالة له إطلاقا على تعظيم الذات، ولا على الإعجاب بالنفس[1].

نبدأ بمختارات من إشعاره من ديوانه الشعري، حيث قال [2]بعد معركة خنق النطاح قرب وهران مفتخرا:

فإنا أكاليل الهدايــة، والعلـــى ومن نشر علياها ذوي المجد قد طوى

فنحن لنا دين، ودنيا، تجمعـــا ولا فخر لنا إلا مالنـا يرفـع اللـــوا

مناقب مختاريـــــــة قاديـــة تسامت، وعباسيــة مجدهـا احــتوى

فإن شئت علما تلقاني خير عالم وفي الروع أخباري غدت توهن القوى

لنا سفن بحر الحديث بها جرى وخاضت فطاب الـورد ممـن ارتــوى

تعبر هذه الأبيات الشعرية عن شخصية مفتخرة بعلمها، وفكرها متخذا من ضمير المتكلم نحن، وسيلة للتعبير عن اعتزازه، وافتخاره أمام الفرنسيين.

يقول[3]في قصيدة نضمها إجابة عن سؤال وجهه إليه بعض أمراء فرنسا فيما إن كانت البادية أفضل أم الحاضرة ما يلي:

ونحن فوق جياد الخيل نركضها شليلهـا زينة الأكفـال الخصـر

نطارد الوحش والغزلان نلحقها على البعاد، وما تنجو من الضمر

نروح للحي ليلا بعدمـا نزلـوا منازلا مـا هـالطـخ من الوضـر

ويستمر مفتخرا إلى أن يقول[4]:

نحن الملوك فلا تعدل بنا أحدا واي عيـش لمـن قد بات في خفر

لا نحمل الضم ممن جـاء نتركه وأرضه وجميع العـز في الســفر

---

(1) http://www.atida.org

(2) يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص135.

(3) الأمير عبد القادر: **ديوان الشاعر الأمير عبد القادر الجزائري 1807. 1883م**، جم، وتحق، وشر، وتق، العربي دحو، ط3، منشورات ثالة،2007، ص ص50. 51.

(4) الأمير عبد القادر: ديوان الشاعر الأمير عبد القادر الجزائري 1807. 1883م، المصدر السابق، ص 51.

وإن أساء علينا الجار عشـرته نبين عنه بلا ضـر ولا ضـــرر

نبيت نار القرى تبدو لطارقنا فيهـا المداواة من جوع ومن خصر

إن القارئ، والمتمعن لما أقرضه الأمير من شعر يجد إفراطا في الاعتداد، والافتخار بنفسه، وهذا من باب تحفيز الروح التي تحتاج إلى طاقات معنوية للمضي قدما في مقارعة العدو على جميع الجبهات يدعوا الناس ليسألوا الفرنسيين عن بطولاته، صولاته، وجولاته ضدهم قائلا[1]:

سلوا عنا الفرنسيس يخبروكم وبصدق إذا حكوا منهم كل مقال

فكم لي فيهم من يوم حرب بـــه افتخر الزمـــان، ولا يـــزال

تتعد أغراض الشعر عند الأمير عبد القادر من فخر، ومدح، وغزل، ووصف، وغيرها، معبرا فيها عن ذاته المجاهدة المستبسلة، المتألمة، المحبة، المفتخرة، الممتدحة سواء كان في مجالسه أو على صهوة فرسه، ولقد أحسن صياغة الذات ـ الأنا ـ في قالب نحن ـ الجماعة /الأمة، في صورة شعرية مختزلة تتغلب فيها مصلحة الأمة أو الجماعة على الفرد، تذوب فيها الأنانية، والفردانية لتطفوا، وتسمو روح الأمة في داخل الأمير عبد القادر.

لا يغيب ضمير الجماعة ـ نحن ـ عن عقل الأمير عبد القادر، وهو يراسل، ويكاتب الفرنسيين من منطلق أنه مفوض من الأمة التي انتخبته لقيادتها في الحرب، والسلم على الولاء، والطاعة، في السراء، والضراء، فلا غرابة في ذلك عكس الفرنسيين الذين كانت كتاباتهم، ومراسلاتهم معه مطبوعة على روح الاستعلاء، وتفوق الرجل الأبيض على غيره من الأجناس، وهذا الموقف الفرنسي يعبر عن العقلية، والحضارة الغربية المسيحية الغارقة في، وحل أزمة نفسية حادة، وهذا البروفيسور ريني دوبوالعالم البيولوجي الذي كتب عن الإنسان الغربي باعتبار أن هذه الأزمة التي يعانيها تعود إلى البنية النفسية له [2]والتي تتحكم فيها عوامل دينية، وحضارية، وفكرية وثقافية. إضافة إلى طغيان المادية المفرطة التي قتلت المعاني الروحية في الإنسان الغربي[3].

---

[1] يحي بوعزيز: الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري، المرجع السابق، ص151

[2] عبد القادر طاش: **أزمة الحضارة الغربية، والبديل الإسلامي**، كتاب المختار، د.ط، د.ت، ص11.

[3] المرجع نفسه ، ص12.

إن هذا الفرنسي المحتل ليس إلا مثالا للإنسان الأوربي الذي ينظر للعربي، والمسلم كعدو، ومتخلف، ومتوحش، وجاهلا. فهذه النظرة الغربية الاستعلائية التي تفرض، وصايتها القانونية، والسياسية، والثقافية تجعل المجتمع العربي المسلم في قفص الاتهام دائما[1].

إن شخصية الأمير عبد القادر تجسد صورة ذلك الإنسان العربي المسلم الذي بويع بإجماع الأمة، وأنتخب على رأس الإمارة، مفوضا منها، وممثلا لها في الحرب، وفي السلم، يحمل روحها، ويتصرف وفق قاعدة الشورى في الإسلام لا عن طريق الوراثة أو التعيين [2]بعيدا عن مغريات السلطة، وامتيازاتها، ممتطى فارسه، وحاملا لسيفه، وراية الجهاد في سبيل الدين، والوطن، رغم حجم الرهانات السوسيولوجية، والسياسية التي تتمثل في المعارضة، والتمرد الذي قاده زعماء القبائل، وبعض الطرق الصوفية، إلا أن خطابه السياسي، والديني نحوها ، ونحو العدو الفرنسي كان يوحي بأنه كان يتكلم بروح الجماعة التي تظهر من خلال ضمير نحن بعيدا عن الغطرسة، والأنانية في وقت كان لابد من حل إشكالية الزعامة[3] التي كانت ظاهرة في التاريخ الجزائري، وكان على الأمير أن يتعامل مع هذه الإشكالية بحكمة، وذكاء، وحلها في إطار الدولة الوطنية، واستيعاب كل المكونات الاجتماعية، وصهرها، و إخراجها في معدن جديد .

للقيام بذلك راح الأمير يحاول إيقاظ، وبعث الضمير الوطني، ونجد في كثير من مراسلاته لرؤساء القبائل، وزعماء الطرق الصوفية يدعوهم للطاعة، والعودة للجماعة، واحترام خيار الأمة الذي فصلت فيه سنة 1832م، ونذكر هنا بعض من الرسائل التي أمر الأمير بكتابتها عن طريق خليفته محمد بن علال التي بعثها لقبائل المدية التي دانت للثائر البغدادي* "**فالذي نخبر به قبائل الزناخرة، و أولاد نائل، وأولاد مختار، ومن، والاهم، و وافقهم على الخروج عن طاعة حضرة الأمير أنه**

---

(1) محمد الخير عبد القادر: **الإسلام، والغرب، دراسة في قضايا الفكر المعاصر**، ط1، دار الجيل، بيروت،1991، ص89.

(2) إبراهيم مياسي: **مقاربات في تاريخ الجزائر 1830 . 1962م**، ط3، دار هومه، الجزائر،2016/، ص54.

(3) إبراهيم مياسي: **بحوث في التاريخ السياسي للجزائر المعاصرة**، د.ط، دار هومه،2013، ص67.

* هومحمد بن عيدالله البغدادي: الذي كان ينافس الأمير عبد القادر، ويدعي أنه المهدي المنتظر. ينظر: شارل هنري شرشل: المصدر السابق، ص127.

لما بلغه أيده الله خبر عتوكم، وشقكم عصى المسلمين بخروجكم عن الطاعة، ومخالفتكم لأهل السنة، والجماعة، وإعلانكم بالعدوان، وجاهرتكم بالعصيان صدر أمره العالي المطاع بالله تعالى بإعذاركم، وإنذاركم، وبذل النصيحة لكم ..."[1]

إن رسالة التحذير للقبائل في المدية تنم عن موضوعية الذات الأميرية التي تخاطب باسم الأمة الأخرين من المتمردين، والعاصين، والخارجين عن الطاعة للتوبة، والعودة، ورغم ذلك لم تلقى رسالته قبولا فاستخدم فيهم السيف فجاءوه طائعين مرغمين، وعفا عنهم بعد ذلك.

استمر الأمير في صولاته، وجولاته يخاطب فيها ضمير الأمة، ينفض عنه الغبار، ومن عمق جغرافية الجزائر يراسل الأمير، وكيله الحاج الطيب في وهران معلنا نجاحه في حملته على عين ماضي قائلا" **لقد توجهنا إلى الصحراء لا للإضرار بالمسلمين الحقيقين، ولا لإخضاعهم، وتخريبهم، ولكن لإيقاظ إيمانهم، وجمع شملهم، وإقامة النظام بينهم** "[2].

لا تخلو رسائل الأمير عبد القادر للقادة، والمسؤولين الفرنسيين، والعسكريين المعبرة عن الذات /الأمة بضمير نحن، كما أن أسلوب عبد القادر الكلامي هو الآخر علامة من علامات الإنسانية. ففي كل مراسلاته الرسمية، ومهما كان المبعوث إليه صديقاً حميماً أو عدواً لدوداً فإن أسلوب الكتابة لا يخلو من العذوبة، والرقة، والثناء، وفي سياق ذلك نختار بعضا منها:

- رسالة إلى السيد كازماني يطلب فيها منه أن يكون له، وكيلا لدولته عند فرنسا في الجزائر "**فإننا منذ أن وقع الصلح بيننا، وبين دولة فرنسا، ونحن نسأل عمن يكون لنا، وكيلا في الجزائر، وواسطة بيننا، وبين دولة فرنسا، ونحن نسأل عمن يكون لنا، وكيلا في الجزائر، وواسطة بيننا، وبينهم في دوام الالفة، والمواصلة**"[3].

---

[1] الأمير محمد بن عبد القادر الجزائري: المصدر السابق، ج1، ص . ص187.186.

[2] شارل هنري شرشل: المصدر السابق، ص،132.

[3] الأمير محمد ابن عبد القادر الجزائري: المصدر السابق، ص201.

إن علاقة نحن بالآخر لدى الأمير تعبر عن مستوى راقي، ومتحضر من التفكير، وعن روح جماعية تتسع لغيره من الأعداء، والمنافسين، والخصوم، تقبل الاختلاف الذي يتسامى خارج نطاق التحيز، والانغلاق اتجاه الآخر، وقبوله كشريك يجب الاعتراف به، والتعاون معه[1].

اشتهر الأمير بمراسلاته مع الجنيرال ديميشال، وهي عديدة في خضم علاقات الحرب، والسلم، وما تخللها من أحداث، ومعارك، وتفاعلات، وتناقضات، ونعدد بعضا من هذه المراسلات، ونركز على الخطاب الإنساني الصادر من رجل عربي مسلم فرضت عليه أصالته، وتقاليده العربية الإسلامية مخاطبة الأخر بلباقة، وتأدب بضمير الجماعة – نحن – ونختار منها بعض النماذج منها:

"**من أمير المؤمنين مولانا السيد الحاج عبد القادر نصره الله آمين إلى جنرال وهران، وعظيم جنودها الفرنصيصية ديميشل السلام على من اتبع الهدى، وبعد فقد، وافى حضرتنا خدامك، ووجودنا عازمين على الغزو فإبطالنا الغازية، واشتغلنا بضيافتهم، وإكرامهم ... ونحن ما مرادنا الطمع فيك بل قصدنا المحبة، والمودة**"[2].

يعبر الأمير في هذه الرسالة عن استضافته، وكرمه لمبعوثي ديمشل إليه، وتوقيفه لغزوه ضد قبائل الدوائر مقدما الصلح، ومصلحة الأمة على الحرب، والمصالح الشخصية الضيقة.

"...**فإنا نود من محبتك، وحسن، ودادك، ووفاء نيتك، ومرادك إنك لازلت تكرر الإحسان إلينا في كل وقت، وحيز، جزاك الله بما أنت أهله، وقد بلغنا جميع ما بعثت به من المكاحل، والكر، والقناطر البارودية، والكرسي**"[3]، ومن خلال قراءتنا لهذه الرسالة نجد ألفاظ الثناء، والتبجيل التي أفاضها على عدوه ديمشال من باب الدبلوماسية، ومراعاة المصالح العامة لا غير، يشكره فيها على إحسانه، وبعثه إليه بالأسلحة التي يحتاجها.

---

(1) محمد الأمين بوحلفوفة، وإبراهيم بن عمار: قراءة في أسس الحكم الراشد في دولة الأمير عبد القادر، في **مجلة الحقيقة**، جامعة وهران، ع37، أفريل2016، ص185.

(2) عبد الحميد زوز: **مراسلات الأمير عبد القادر مع الجنرال ديميشل**، د.ط، دار هومه،2003، ص64.

(3) ينظر: الملحق رقم03.

"..، **ونحن لا نحب أحدا من قومنا يغضبك أو يشين خاطرك، وينغصه في محبتنا، وهذا الأمر الصادر في المرسى، وكان قليلا غير معتبر لكن لازم أن ما جراكذافي البعض يجري في الكل، وما وقع من المثل يقع من مثله فلا نحب سكوتك عن مثلها، وودك أولى**"[1].نفهم من رسالة الأمير أنه يدعو ديمشال إلى احترام العهود، والمواثيق، وتجنب العداوة، والمنازعات، وهذا إثر حادثة الاعتداء على أحد، وكلائه التجاريين من طرف تاجر أوروبي في المرسى.

كل هذه الرسائل، وغيرها يظهر فيها الأمير المتكلم بضمير نحن مع الأخر المخاطب ليقنعه أنه أقرب إليه، وفي تواصل معه. حتى مع خلفائه، ووكلائه، وقاداته يخاطبهم بتواضع وادب تتساوى فيها ذاته معهم، ومن رسائله تلك:

رسالة إلى علي بن سالم يطلب منه الاهتمام بأمر الحدود الشرقية"...**اعلم أنه بلغنا عنك على لسان السيد محمد الصغير ابن عبد الرحمان الخليفة ثناء جميل فشكرنا لك ذلك، وإعجابنا كثيرا ودعونا لك بخير، والله يتقبل آمين...**"[2].

كانت الـ نحن تعلو فوق الأنا، عند الأمير عبد القادر بين أهله، وعشيرته، وبين رفقائه كذلك توحي إلى إيثار الأخرين على نفسه، وتقديم حاجة الجماعة على حاجة الفرد مبرزا عطفه، وشفقته بإنسانيته، وروحانيته "**وكان الأمير يحسن السلوك مع رفقائه، ويسليهم، ويتلطف معهم في سائر الأمور، ويخالطهم بنفسه، ويؤرثهم عليها بكل ما كان يخص به من لذا الأطعمة، ونفائس الألبسة فقيل له في ذلك، فقال الحال التي نحن فيها تقضي عليا بذلك، وعلى هذا كان أسلافي مع من يساكنهم، ويصاحبهم فلا يقول أحدهم حصاني، وبرنسي، ومالي. بل يقول حصاننا، وبرنسنا، ومالنا**"[3].

---

[1] ينظر: الملحق رقم04.

[2] يحي بوعزيز: الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري، ج01، المرجع السابق، ص272.

[3] الأمير محمد ابن عبد القادر الجزائري: المصدر السابق، ص07.

كذلك نورد نموذج لرسالة من الأمير إلى الإمام شاميل الداغستاني* لما كان في الشام بعد ما سمع عن استسلامه للروس، ورغبته في الحج إلى بلاد الحرمين، تبادلا على إثرها الرسائل للتعبير عن الأخوة الإسلامية بمنطق نحن لا منطق أنا "**بلغنا، وصولكم عند ملك روسيا، وأنه فعل معكم ما هو أهله من الإحسان، وأنزلكم من الإكرام ارفع منزل، ومكان، وسمعنا أنكم طلبتهم منه تسريحكم إلى الحرمين الشريفين...**" (1)

* ولد شاميل في القوقاز حوالي 1796م، سمي عليا في صغره، تعلم العربية، والفرآن، والكتابة بالعربية، والفلسفة، درس مذاهب التصوف، حارب الروس مدة ثلاثين سنة على غاية استسلامه1859، وبعد ذلك رحل لبلد الحرمين إلى غاية، وفاته1871.ينظر:

Boulem bessaih: de l'emir Abdelkader àl'mam chamyl,le hèros des thèchèns et du caucase,s. éd,enag edition، Alger,2009,pp7

(1) الأمير محمد ابن عبد القادر الجزائري: المصدر السابق، ج02، ص115.

استنتاج:

من خلال ما سبق نتوصل إلى استخلاص ما يلي:

- اختلاف التعاريف، والمفاهيم حول الإنسان تعود إلى أيديولوجيات، ومعتقدات المذاهب، والفلسفات، والديانات.

- التكريم الإسلامي للإنسان، واعتباره خليفة في الأرض، تنحصر، وظيفته في التعبد، والتقرب إلى الله.

- اعتبار المفهوم الأميري للإنسان بمثابة إضفاء للتصور الصوفي، والروحاني على جوهر، ودور الإنسان.

- رسم، وهندسة الخريطة الروحية للإنسان الكامل، والخليفة، ووضع الأسس التي من خلالها نستطيع قراءة، وفهم سمو، وكمالية الإنسان على البسيطة.

- تموقع الأخر/ العدو / الخصم، وغيرهما في وعي الأمير عبد القادر كإنسان مخلوق، ومجبول على التمايز، والاختلاف، والتباين، ووجوب الاحترام، والتسامح بين أفراد الإنسانية.

- إن الخطاب الأميري بمنطق نحن مستوحى من الخطاب القرآني الذي يعتبره مثله الأعلى في التفكير، والسلوك، والمعاملة.

الفصل الثالث

تجليات الإنسانية الأميرية ومواقف الآخر منها

1. معاملة الأسرى واليهود والزعامات المحلية

2. أخلقة الحرب وتدوين القانون الدولي الإنساني عند الأمير

3. إنسانيته في كتابات الآخر

1. معاملة الأسرى واليهود والزعامات المحلية:

إن عبد القادر، الابن، والشاب، والأمير المحارب، والسجين شخصية إنسانية، فمن مرحلة لأخرى، يضع بصمته، ويترك آثاره، في جميع المواقع، والاتجاهات، والمراحل، راسما بذلك صورة إنسانية مع كل قريب، وبعيد أو صديق أو عدو، صورة انطبعت فيها النزعة الإنسانية المتسامية، والمترفعة عن غيرها من النزعات الهمجية، الحيوانية. لكن كيف استطاع الأمير أن يوفق بين همجية الحرب التي شنها العدو الفرنسي، وخصومه المحليين، وبين سلوكه الإنساني؟

أ– حماية الوفود واحترام العهود:

يحفل تاريخ الأمير بالكثير من الإسهامات، والأدوار، والمواقف، التي صنعتها شخصيته بروحانيته، وتدينه[1] مع غيره، فكان نموذج أصيل في معاملة المسحيين، وعلى هذه القاعدة سار في جميع معاملاته مع المسيحيين، وغيرهم، محترما ديانتهم، وعقيدتهم بحكم أن الإسلام الذي يمثل دستور المسلمين أول ضامن لحقوق المخالفين في الملة.

فالأمير تجاوزت نظرته للمسيحين المعتدلة المستوى النظري إلى مستوى التطبيق، معطيا مثالا رائعا للحاكم، والقائد المسلم عكس الفرنسيين الذين يثرثرون بمبادئ، وقيم الثورة الفرنسية، فكان واقع همجيتهم ضد الجزائريين تثبت عكس أفكارهم المغلفة بشعارات الحضارة، والمدنية.

في سلوك الحرب كان الأمير عبد القادر دائما يسعى إلى اتقاء شر الحرب، والنهي عن إطلاق النار على الفرنسيين مهما كانت الظروف. ماعدا حالات الدفاع عن النفس[2].

كان الأمير حريص على حماية الوفود، والبعثات الفرنسية إليه، من خلال تأمين تنقلهم، وترحالهم، وهذا أدريان بيير بروجير* **Aderien Ber brugger** يسرد لنا حقائق إنسانية مما

---

[1] يحي بوعزيز: الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري، المرجع السابق، ص80.

[2] هنري شارل شرشل: المصدر السابق، ص94.

* رجل سياسي، وعالم، وجاسوس، ومستشرق من الدرجة الأولىومؤرخ، جاء إلى الجزائر سنة 1835 رفقة الماريشال كلوزيل، في أواخر1837 قام برحلة إلى معسكر الأمير، وأنجز تقريرا شمل الجوانب الاقتصادية، والسياسية، والادارية لدولة الأمير عبد القادر، ونشره سنة 1838 ثم اعاد نشره سنة 1839.ينظر: بير بروجر: المصدر السابق، ص ص7. 9.

عاشه في الطريق نحو الأمير في البويرة، ومحاولة الاعتداء عليهم من طرف بعض السكان الذين صادفوهم في الطريق لولا حماية الأمير "**حيث توقفنا حوالي ساعة حيث تحدث إلينا السكان في هذا المعنى، ولم يخفوا عنا أنه لولا حماية فرسان الأمير لقتلونا عن آخرنا...ولم يترددوا في تقديم بعض الخدمات لنا دون أن نطلبها منهم، ولا حظنا بصفة عامة أن الأفراد الذين أساؤوا استقبالنا أول مرة انتهوا دائما إلى معاملتنا معاملة إنسانية** "[1].

رغم مخاطر الرحلة التجسسية التي قام بها بير بروجر إلا أنه يكشف كرم الضيافة الذي حف بيه مع مجموعته، وهو في الطريق إلى الأمير عند مروره بيسر عند قبيلة بني هني تحت حماية فرسان الأمير عبد القادر، شاكرا لمضيفيه لكرم الاستقبال، والضيافة "**فقد، وضعوا القرطالتبنوالشعير، والدجاج، والحليب، والزبدة تحت تصرفنا، ورفضوا الدراهم التي عرضناها في المقابل**"[2]، وقد اقتنع صاحب الرحلة بشخصية الأمير الإنسانية، وصافا إياه بالإنسان الذي لا يكلف نفسه عناء المجاملات الرسمية [3].

ساهمت تربية الأمير عبد القادر على القيم الإسلامية من صدق، وتسامح، واحترام مع الأخر في، وضع حدود بينه، وبين الخيانة، والغدر، والكذب، ضاربا أروع الأمثلة في معاملاته الإنسانية مع بعثات، ووفود الفرنسيين، والأوربيين، ومراسلاته للقادة، والمسؤولين الفرنسيين يلح فيها على احترام العهود، والمواثيق، وقد ذكر في رسالته للجنرال ديمشال بطبيعة الإنسان المسلم قائلا:"..، **وان شرط علينا لا تحل لنا مخالفته، ولو نتقطع دونه عن آخرنا، وبالوفاء بالعقود ورد قرآننا قال الله تعالى: يأيها الذين آمنو...**"[4].

---

(1) بير بروجر: المصدر السابق، ص41.

(2) المصدر نفسه، ص34.

(3) المصدر نفسه، ص98.

(4) عبد الحميد زوز: المصدر السابق، ص 51.

كما قال للجنيرال بيجو في مفاوضتهما حول عقد معاهدة سلم بينها توجت بمعاهدة التافنة: "**فلنا ديننا يجبرنا على احترام كلمتنا، ولم أنقض عهدي أبدا**"[1]، وبهذا كان الأمير عبد القادر حريص أشد الحرص على إيلاء أهمية قصوى لصون المعاهدات.

هناك مثال آخر على مدى تمسك الأمير بالعهود، والمواثيق التي عقدها مع الفرنسيين، وذلك عندما قام هؤلاء الأخرون بنقض معاهدة التافنة فأرسل إليهم يذكرهم بوجوب حماية مسافريهم، ومعسكراتهم، ومحطاتهم منذرا إياهم بمواصلة الحرب[2].

ب–معاملة الأسرى:

كفل الدين الإسلامي حماية الأسير في الحروب، وهو بذلك يعتبر المصدر الأولي الذي تناول حقوق الإنسان المكرم من ربه، هذه الحقوق الدين ـ النفس العقل النسل ـ المال ضرورات، وشروط، وفي نفس الوقت حرمات لا يجب التعدي عليها.

إن أول ما يثير انتباهنا في معاملة الأمير مع الفرنسيين هو معاملته الإنسانية للأسرى التي تعكس الوجه الإيجابي لشخصيته[3].

في مشهد إنساني نادر للأمير عندما طلب أسقف مدينة الجزائر **Dupuch** منه إطلاق سراح أحد الأسرى الفرنسيين فرد عليه برسالة تنبض كلها إنسانية ينبهه فيها إلى أن واجبه كرجل دين مسيحي نذر حياته لخدمة الدين، والبشر يفرض عليه أن يطلب حرية جميع الأسرى المسيحيين لديه، وليس حرية أسير واحد[4].

---

(1) عبد القادر دوحة: بصمات الأمير عبد القادر الجزائري في القانون الدولي الإنساني، في **مجلة الحوار لمتوسطي**، 2016، ص234 السابق، ص122.نقلا عن هنري شارل تشرشل: المصدر السابق، ص122.

(2) هنري شارل شرشل: المصدر السابق، ص182.

(3) Bariza Khiari ; la symbolique de la moubay'a chez l'Emir Abdelkader, question de sémantique, la revue de la mémoire d'algérie, n02, juin2012, l'algerie, p11.

(4) هنري شارل شرشل: المصدر السابق، ص201.

لقد ابدى الأمير عبد القادر عاطفة الرحمة تجاه الأسرى الفرنسيين الذين وقعوا بين أيديه في الحرب في صورة إنسانية لا مثيل لهافي تاريخ الحروب، تظهر من خلال حرصه الشديد على كسوتهم، وإطعامهم جيدا، وإرسال النقود إليهم [1] عكس الضباط الفرنسين الذين تفننوا في إهانة روح الإنسان الجزائري الأسير في حربهم الهمجية ضد الأمير، الذين عليهم "... **أن يجلسوا عند قدميه، وأن يتمسحوا بهما لانحطاطهم في المعاملة** "[2]ولا نستغرب من دعاة الحضارة الفرنسية أن يسموا، وحشيتهم، وهمجيتهم بالعملية الحضارية، ويقول في ذلك الجنرال شونقاربي "**ولابد على كل دولة من أجل فرض قوتها من استعمال عمليات الإبادة مثلما فعلوا بالهنود**"[3].

منع الأمير على جنوده، وضباطه إهانة الأسير وقتله، وهو مجرد من السلاح أو التنكيل بجثته، وكل من يخرق قواعد الحرب التي سنها الأمير عبد القادر يتعرض للعقاب "**إن عبد القادر بإنسانيته، قد فعل أكثر من مجرد افتتاح عهد جديد في معاملة الأسرى بين العرب فهو الذي بفضله أصبحت حياة الجنود تنقذ في الميدان، ويؤسرون بدل أن يقتلوا...**"[4].

أدى الأمير عبد القادر أدوارا بطولية في أنسنة الحرب فقد وصل به الأمر إلى تخصيص جوائز، ومكافئات لكل من يهتم بالأسير الجريح أو إحضاره سليما. فمقابل كل أسير حي خصص ثمانية دولارات، ومقابل كل رأس مقطوع خمس، وعشرين ضربة فلاقه على الإقدام [5].

كان الأمير يسمح بالمراسلات بين الأسرى، وذويهم أو رؤسائهم، ويذكر شرشل أن أحد الأسرى لديه حضي بمعاملة راقية عندما طلب إحضار بعض الأسرى إلى مجلسه، فقام الأمير بمنح،

---

(1) هنري شارل شرشل: المصدر السابق، ص202.

(2) المصدر نفسه، ص ص201 . 202.

(3) سلاماني عبد القادر: **الاستراتيجية الفرنسية لإجهاض مشروع الدولة الجزائرية الحديثة،1832. 1847م**، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجيستر في تاريخ الجزائر الحديث، والمعاصر، جامعة، ص117 وهران، كلية العلوم الإنسانية، والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ، وعلم الأثار،2008. 2009م.نقلاعن:

Changarnier T : Mimoire du générale Changarnier, éd Dester, Paris,1930, p9

(4) هنري شارل شارشل: المصدر السابق، ص205.

(5) المصدر نفسه، ص206.

وسام الشرف الذي أرسله إليه ضابطه نظير شجاعته في الحرب [1].وهذا يدل دلالة واضحة على أن حالة العداء بين طرفي الحرب لا تمنع من تغليب النزعة الإنسانية في معاملة أسرى الفرنسيين.

لضمان حياة الأسرى أصدر الأمير مرسوما وطنيا عن معاملة الأسرى يدعو فيه خلفائه، وقواده، واغواته، ورؤساء القبائل التابعين له في اجتماع ضم ثلاثمائة شخص، وخطب فيهم حول حسن معاملة الأسرى رجالا، ونساءا [2] ، وبذلك كان الأمير يعلم، وينصح جيشه المحمدي بالتحلي بالأخلاق الإسلامية السمحة في معاملة الأسرى رجالا، أو نساء، وفيما يخص النساء فقد أولى عناية كبيرة بتكريم، وحماية الأسرى منهن "...**وإن كان قلب الأمير قاس عند لقاء الخطر لكنه يلين، ويذوب شفقة عند مشاهدة حزن الأسرى، وكان أكثر كراهة عنده أن يرى الأسرى من النساء، يضطرب عند تصوره، وقوعهن فرائس الحرب، وقد جاء إليه احد أعوانه بأربعة من النساء اسرى فحول وجهه، وقال متهكما الأسد يقنص الحيوانات القوية، ويقع ابن آوى على الضعيفة** ..."[3].ولم تستثنى، والدة الأمير الشريفة العفيفة السيدة الزهرة بنت سيدي بن دوبة، والدته الحكيمة من المعاملة الإنسانية للأسرى من النساء، مجسدة نموذج المرأة المسلمة، وما تتميز به من رحمة، وشفقة، ولطف[4].بذلك يكون الأمير قد رسخ قواعد أخلاقية، وإنسانية للحرب مع العدو، سبقت بسنوات اتفاقيات جنيف الحالية التي نصت على حماية النساء، ومنها المادة 27 من الاتفاقية " **تخص النساء بصفة خاصة من الاعتداء على شرفهن، وعلى الأخص هتك العرض أو الاغتصاب أو أي نوع من الاعتداء المشين** "[5].

---

[1] هنري شارل شرشل: المصدر السابق، ص206

[2] عائشة بن ساعد: **البعد الروحي لمقاومة الأمير عبد القادر**، مذكرة لنيل شهادة الماجيستر في التاريخ الحديث، والمعاصر، جامعة الجزائر، كلية العلوم الاجتماعية، والإنسانية، قسم التاريخ،2003-2004 م ص281، نقلا عن هنري شارل شرشل: المصدر السابق، ص207.

[3] الأمير محمد ابن عبد القادر الجزائري: المصدر السابق، ج1، ص303.

[4] المصدر نفسه، ص303.

[5] عمار جبابلة: الحماية الخاصة للنساء المدنيات في القانون الدولي الإنساني، في **مجلة البحوث، والدراسات**، ع 23، جامعة الشهيد حمى لخضر، الوادي،24 شتاء2017 م ص187.

إلا أن الجنرالات، والضباط الفرنسيين اختبروا همجيتهم، وحشيتهم ـ عكس الأميرـ على أسرى النساء الجزائريات، فكان عندهم هدف يتجلى في حرب بلا شفقة، ولم يأخذوا في حسبانهم مفاهيم الأمير الإنسانية في مشاريعهم، وأفعالهم[1].

صنع بسلوكه الإنساني في الحرب، وخاصة احترام الحرية الدينية للأسرى صورة ايجابة عند حتى أعدائه، ويعترف بيجو بذلك قائلا: "**إنه يبدو كأنه صورة المسيح**"[2]ويضيف "**إنه من صنف الأنبياء أنها روح كل المسلمين الأتقياء**"[3]، وهذا المسيو سوشيه **Suchet**مساعد أسقف مدينة ال جزائرعام1811م يصفه بالقديس بعدما رأى الأمير عبد القادر بعدما لاحظ الاحترام، والتكريم من فرسان الأمير عبر الطرق التي سلكها، وكان مكلفا من قبل دوبوش لإيصال رسالة محتواها طلب الإفراج عن أسرى فرنسيين.[4]

بلغ بتسامحه الديني شأوا كبيرا من خلال إرساله إلى أسقف الجزائر رسالة يطلب فيها إرسال قسيسا إلى معسكره ليكون ممثلا له، ورجل دين في نفس الوقت، وإقامة الصلة مع الأسرى المسيحيين[5]، وبالفعل استقبل الأمير رجل الدين الفرنسي، وأكرم وفادته ليقوم بمواساة الأسرى وأداء الطقوس الدينية معهم، وكتابة مراسلاتهم إلى عائلاتهم. كما أن سماحة الأمير، واعتداله فرضت عليه احترام مبدأ ممارسة الدين للأسرى الفرنسيين، وفي ذلك يورد لنا شرشل قصة الأسيرين الفرنسيين اللذان عرضا على الأمير رغبتهما في اعتناق الإسلام، فأجابهما: "**إذا كنتما تفعلان ذلك عن طيب خاطر فأهلا، وسهلا بكما، ولكن إذا كنتما تفعلان ذلك شعورا منكما بالخطر أثناء الحالة التي**

---

(1) مؤسسة الأمير عبدالقادر: فرع وهران: **الأمير عبد القادر منبع الأصالة، رائد الحداثة**، د.ط، المؤسسة الوطنية للمطبوعات، 2011، ص109.

(2) Dalil Boubakeur : **Abdelkader musulman et franc maçon** : extrait du colloque, grande mosquée, Paris ,14mai,2011, P 1

(3) ibid, P 2.

(4) الأميرة بديعة الحسني الجزائري: **الأمير عبد القادر الجزائري حياته، وفكره**، تر أبو القاسم سعدالله، ج3 ط1، دار الوعي للنشر، والتوزيع، الجزائر،2012، ص ص 54.55.

(5) عائشة بن ساعد: المرجع السابق، ص. ص 287 . 288.نقلا عن هنري شارل شرشل: المصدر السابق، ص202.

انتما عليها فأنتما مخطئان. فلو ظللتما مسيحيين كما أنتما الآن فلن يحدث لكما أي إزعاج، ولن تمس شعرة من راسيكما"[1].

كان الأمير عبد القادر ينزل الضباط الفرنسيين الأسرى منزلتهم لحقيقية، ويفصلهم عن الجنود[2]، ويعتني بهم كغيرهم من الجنود الأسرى، وكان يفضل مبادلتهم بأسرى جزائريين بدل الفدية، ولم يشعر يوما بغرور الانتصار للانتقام من الضباط الفرنسيين الذين كانوا يأسرون في المعارك، بل كان كلما اشتد سيفه على أعدائه من جهة رن قلبه من جهة أخرى لحال الأسرى منهم.

هكذا تتعدد صور المعاملة الإنسانية من الأمير عبد القادر مع أعدائه في خضم هول الحرب، وكوارثها ثابتا على الفطرة الإنسانية التي رباه الإسلام عليها متحركا في دائرته، داعيا إلى احترام حقوق، وحريات، وكرامة الإنسان. خاصة إذا كان في حالة ضعف، وانهيار.

ج– معاملته لليهود، والمسيحيين:

احتل اليهود مكانة بارزة في الجزائر خلال العهد التركي، وذلك من خلال سيطرتهم على مجال حيوي، واستراتيجي، والمتمثل في التجارة، والصناعة الاستراتيجية، ومن بين هؤلاء اليهود الذين احتلوا مركز الصادرة قبل الاحتلال الفرنسي كان رؤساء العائلات الكبرى:

بوشناق، سرور، بوشارة، كومين، بكري أبو كاية[3]، وكانوا يشكلون جزءا من النسيج الاجتماعي للجزائر منذ القدم [4]وسيتواصل تأثيرهم، وتتعدد إسهاماتهم بعد سنة 1830.

بعد انهيار الدولة العثمانية في الجزائر، وضياع مقومات سيادتها، كان لابد أن تنطلق إرادة الأمة الجزائرية من جديد لإعادة بعث الكيان الجزائري من جديد، وتوحدت تلك الإرادة في شخص الأمير عبد القادر الذي أنتخب لأول مرة في تاريخ الجزائر المعاصرة قائد، وأميرا وفق أسس، ومعايير

---

(1) هنري شارل شرشل: المصدر السابق، ص ص.202-203.

(2) عائشة بن ساعد: المرجع السابق، ص292. نقلا عن أديب حرب: رجال، وتاريخ، عبقرية الأمير عبد القادر العسكرية، في **مجلة أول نوفمبر**، الجزائر، ع 161، 1999، ص558.

(3) عيسى شنوف: **يهود الجزائر**،2000 سنة من الوجود، د.ط، دار المعرفة،2008، ص24.

(4)Obert Djian : **les juifs D'algérie**, de1800 au decret Crémieux, l'echo, des carriére, n80, p21.

قانونية، وكان في حاجة ماسة لكل الجهود، والشرائح، والطاقات الاجتماعية لتثبيت ركائز، وأركان دولته الفتية، كان اليهود أحد هذه الطاقات التي استفاد منها في بناء دولته لعلمه بتمرسهم، وحذقهم، ومهارتهم في الصناعة، والتجارة، والسياسة، فاعتمد عليهم، وقربهم إليه، وشاركهم في بناء، وتوسيع رقعة دولته .

لم يكن ينظر الأمير نظرة الرجل المتعصب، والمتزمت لليهود بل تجاوزها إلى وضع كل ثقته فيهم في شؤون دولته، وأفاض عليهم من روحه الإنسانية مراعيا ضوابط الدين في المعاملة مع أهل الذمة دون تمييز أو إقصاء مانحا لهم الفرصة في تنفيذ مشروعه النهضوي الحضاري.

ولتذليل كل الصعاب أمامه فكر في التصنيع الحربي، وتحقيق الاكتفاء منه لجيشه اعتمد على الخبرة اليهودية في المجال الاقتصادي، والدبلوماسي، والعسكري[1]. فكانوا بذلك قائمين على صك العملة، ووفودا للأمير إلى فرنسا، وتجارا، محتكرين للمعاملات التجارية بين الأمير، وفرنسا، ومن الشخصيات اليهودية التي اعتمد عليها في التجارة: مرتخيا عمار، الذي حضي بثقة الأمير كثيرا، وهو في الأصل تاجر بوهران، ومن عائلة مشهورة في معسكر[2].

كما عين منهم سفراء، ومبعوثين لدى فرنسا، وأوكل إليهم مراقبة العدو الاستخبار عنه، وجمع المعلومات حوله، وكان من بينهم مردخاي بن دوران*، وقد لعب دور الوساطة بين الأمير، والفرنسيين أثناء معاهدة ديمشال"**وكان هذا اليهودي انتقم الله منه سمسارا عظيما، وجعل بين الدولة، والمخزن، وبين الأمير خلاطا جسيما...**"[3]، ومن اليهود أيضا بو جناح الذي كلفه ديميشال بالوساطة، والمفاوضات مع الأمير عبد القادر.

يذكر ألكس بلمار **Alex Bellemare** أن بعض اليهود كابن دوران، وبوشناق ابن شريك بل بكر، و مردوخي عمار من أجل معالجة بعض القضايا الهامة مع الفرنسيين، والإنجليز، وكذلك

---

(1) https://www.echoroukonline.com/ara/articles/

(2) عبد الحميد زوز، **رسائل الأمير عبد القادر إلى الجنيرال ديمشال**، المصدر السابق، ص54.

* عينه الأمير عبد القادر قنصلا له بالجزائر العاصمة بالنظر لمعرفته بالشؤون الفرنسية بحكم تربيته في فرنسا، واتقانها للسان الفرنسي، ولقربه من عمار مرتخاي بالمصاهرة، وهو من أطلع الحاكم العام الفرنسي دارليون درورييه في ديسمبر1834 بشروط المعاهدة السرية التي لم يكشف عنها ديميشال، والتي عرفت بالمعاهدة السرية. ينظر: عبد الحمدي زوزو: المصدر نفسه، ص147.

(3) الأغا ابن عودة المزاري: المصدر السابق، ص171.

الإخوان مانوسكي فاتال، ونيكولا كانوا ينظمون تجارة الأسلحة، والذخائر من جبل طارق، وعبر مراكش، وكانوا، واسطة بين الكراغلة، والعرب في كل صفقة[1] هذا مما يدل على مدى الثقة المطلقة التي، وضعها الأمير في هؤلاء مستغلين طيبته، وتسامحه وعدله.

كانت قرارات الأمير العادلة تسري على اليهود أينما حلوا أو ارتحلوا داخل دولته مطمئنين على حقوقهم، ومكاسبهم، وتجارتهم، وورد ذلك في شهادة القنصل الفرنسي ديماس الذي تحدث عن معاقبة الأمير لخمسة من قبائل الغرابة بعد توقيفهم، وسجنهم في قضية اليهود الذين سلبوا في طريقهم إلى مستغانم، واعترفوا بالتهم المنسوبة إليهم[2]، ويضيف كذلك في مراسلته الإشارة إلى تعاون خلفاء الأمير في التحري، والتحقيق في حالات الاعتداء أو ابتزاز اليهود في الطرق أو النصب عليهم مثل قضية التجار اليهود الأربعة الذين خرجوا من مستغانم مع رخصهم إلى بلد المجاهر لبيع بضاعتهم فتم توقيفهم في واد مينا، وفرضت عليهم ضريبة بدون نسبة محددة، وقد تجاوب الخليفة مع شكوى اليهود[3].

إن هذه الشهادات التي يقدمها ديماس دليل على مدى عدالة، وإنسانية الجهاز القضائي لدولة الأمير عبد القادر الذي عمل ما في، وسعه لضمان حقوق، وحريات اليهود في ظل الحرب الدائرة.

إن الظاهرة الأميرية ماهي إلا تجلي لإنسانية الدين الإسلامي الذي دعي إلى قيم، ومبادئ الاحترام، والتسامح، وحسن المعاملة مع المخالفين في الدين. أما جهاده الذي أعلنه ضد الفرنسيين لم يكن من قبيل التعصب الديني كما يدعي بعض الكتاب الأجانب المتحاملين على شخصية الأمير عبد القادر، بل كان منفتحا على الجميع بدون استثناء.

إن الحرب على الجزائر كانت صليبية بالدرجة الأولى استهدفت اجتثاث الإسلام من جذوره، وترسيخ الديانة المسيحية مكانه، ولم يتوان المحتلون من اللحظة الأولى التي، وطأة فيها أقدامهم الجزائر في التعدي على المساجد، والجوامع، وتحويل بعضها إلى كنائس، وإصطبلات، والتضييق على العلماء،

---

(1) Lex Bellemare, op. Cit, p162.

(2) Georges Yver, op. Cit. .

(3)Ibid, p 290.

وحصارهم، ونفيهم[1]، كما صاحب القادة العسكريون معهم رجال الدين لاستخدامهم في إعادة أمجاد المسيحية حسب زعم الكنيسة.

رغم التعامل الفوقي، والنظرة الدونية للرجل المسيحي في الجزائر إلا أن الرجل المسلم الذي يمثله الأمير كان على ثوابته، وقيمه السمحة نحو المسيحين، سالكا معه طريق الاعتدال فكرا، وممارسة، ولعل، أنصع صورة على استثنائية السلوك الإنساني للأمير هو خطابه الديني السمح، وأفكاره المعتدلة، والتي حررها في مؤلفاته كذكرى العاقل، وتنبيه الغافل، والمقراض الحاد، فكانت كلها حبلى بإنسانية صادقة، وأخلاق سامية.

إن التسامح الديني الذي أبداه الأمير تجاه المسيحين في الجزائر، وخارجها ليس إلا تأصيلا لمبادئ الدين الإسلامي، وسبقا في ميدان حقوق الإنسان، ومن مظاهر الحرية الدينية التي أشرنا إليها في المبحث السابق، سماح الأمير للأسرى المسيحين بممارسة شعائرهم، وطقوسهم الدينية، وحضور الاجتماعات الدينية الخاصة بهم [2]، وحرية مراسلة عائلاتهم، وذويهم.

من أشهر مواقفه، وبطولاته الإنسانية المشهورة، والتي أدهشت العالم المسيحي، وصنفته ضمن العظماء، والعباقرة، والذي حظيت به الإنسانية جمعاء على اختلاف أديانها، ومذاهبها، تلك التي كانت في الواقعة الأليمة التي ابتليت بها الشام بين أهلها الدروز* والموارنة 1860.

---

[1] جاك فريمو: **فرنسا، والإسلام**، تر هاشم صالح، ط1 شركة أرض للنشر، والتوزيع،1991، ص58.

[2] دوحة عبد القادر: المرجع السابق، ص231.

* في محافظة السويداء من جمهورية سوريا حيث يوجد جبل الدروز التي تشتمل على أكثر من ثلاث، وسبعين قرية، ففي الشمال نجد قبيلة العوامرة، وفي الجنوب، والشرق يقطن بنو الأطرش، وفي وسط اقليم يعيش الحناوية، والقلاعنة، ووالحلبية، والهنيدية، وبنو عساف، وأكثر سكان هذه المنطقة على المذهب الدرزي، إضافة إلى توزعهم في لبنان، وفلسطين، ، واسم الدروز مازال مثار مناقشات إلى غاية اليوم، فؤلاء القوم لا يحبون أن يلقبوا بهذا الاسم، ويستنكرون أن ينسبهم غيرهم على نوشتكين الدرزي الذي يرمونه بالإلحاد، ويطلقون على أنفسهم إسم الموحدين ، وهو الإسم الذي عرفوا به في كتبهم المقدسة، كما أختلف المؤرخين في اصلهم، ونجد في ذلك روايات مختلفة، إلا أن المؤرخين على اختلاف مذاهبهم، وأجناسهم يتفقون على أن العقيدة الدرزية ظهرت في الشام أول مرة في وادي تيم، بين دمشق، وبانياس سنة 408 هـ.ينظر: محمد كامل حسين: **طائفة الدروز، تاريخها، وعقائدها**، د.ط،دار المعرف، مصر،1962،ص.ص.7ـ 10.

كان دوره فيها فعالا، وقويا، فوضعته الأقدار مرة أخرى أمام امتحان صعب. خاصة، وأن الدولة العثمانية في ذلك الوقت كانت تلفظ أنفاسها الأخيرة تحت طائل الهجمات، والضغوطات الأوربية، والتمردات الداخلية مما حولها إلى رجل مريض[1] أحاط به المتآمرون من كل حدب، وصوب لاقتسام ممتلكاته متذعرين بحجة حماية الرعايا الأوربيين، والأقليات بالمنطقة.

عدت الفتنة الطائفية التي حدثت في جبل لبنان سنة 1860 من اهم الأحداث السياسية التي تعرض لها الجبل بشكل خاص، والدولة العثمانية بشكل عام في القرن التاسع عشر، وكادت إن تؤدي إلى حرب كبرى لا تقتصر على الدولة العثمانية فقط، وإنما دخول دول أوربية لها اهتماماتها الخاصة في المشرق العربي بشكل عام وجبل لبنان بشكل خاص، وكان من أبرز تلك الدول فرنسا[2].

ولطالما كان العالم الإسلامي أرض الأخوة، والتعايش بين مختلف المذاهب، والملل، إلا أن المسيحيين، رجال دين، وسياسة ما فتؤووا يبثون سموم التفرقة بين المسلمين، وغيرهم ليجدوا ذرائع، ومبررات للتدخل في الشؤون الداخلية للعالم الإسلامي، وما فتنة 1860 إلا صفحة سوداوية وقعتها أنامل الغدر، والتآمر الأوربية ضد الدولة العثمانية التي كانت في مرحلة ضعف خطيرة، وها هو تشرشل يصرح متحاملا على الإسلام، والمسلمين قائلا: "**فبينما نرى السلطان، ووزرائه تفاديا لموقفهم المحرج يصرحون للعالم الخارجي يصرحون باعترافهم بالمساواة الدينية، والمدنية، نراهم من ناحية أخرى لا يجسرون خوفا من إثارة الشعور الديني بين المتدينين من اتباعهم المحمديين...وزيادة على ذلك فقد تفشت بلا ريب، في السنين الأخيرة فكرة صادرة عن الباب العالي قد تكون بإرادته أو بدونها في جميع أنحاء الإمبراطورية تشجع كل المؤمنين الحقيقيين على إتباع خطة معينة نحو غير المحمديين، خطة ليست سلبية فحسب بل عدائية مطلقة** "[3].لكن

---

(1) بقبق الزهرة: **الأمير عبد القادر في الاسر،1849 . 1852م**، رسالة لنيل شهادة الماجيستر في تاريخ الجزائر الحديث المعاصر، جامعة وهران كلية العلوم الإنسانية، والحضارة الإسلامية، معهد التاريخ،2009 ،2010، ص 152.

(2) كريم عباس حسون الجبوري: الحملة العسكرية الفرنسية على جبل لبنان 1860-1861.، في **مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية** المجلد 5. العدد 2، ص39.

(3) هنري شارل شرشل: بين الدروز، والموارنة، ترفندي الشعار، د.ط، دار المروج، 1984، ص12.

هناك مؤرخين غربيين أنصفوا الإسلام، والخلافة العثمانية، ومن بينهم المؤرخ الأمريكي دونالد كواترت الذي يرى إن تدهور علاقات الطوائف في القرنين الثامن عشر، والتاسع عشر سببه تسلط الرأسمالية الغربية من جهة، وتدخّل الدول الكبرى في الشؤون الداخلية للدولة العثمانية، ومن سخريات التاريخ أن بريطانيا، وفرنسا أذكتا نار الكراهية العربية للحكم العثماني ثم اتخذتا من هذه الكراهية التي صنعتاها ذريعةً أخلاقية لتفكيك الدولة العثمانية[1].

أطلق سراح الأمير عبد القادر[2]في خضم تزايد التهديدات، والمؤامرات حول الخلافة العثمانية التي تمثل وحدة العالم الإسلامي، كان على وعي، ودراية بمدى خطورة ذلك على مصير الإسلام، والمسلمين، وبعد رحلة شاق وصل دمشق في ديسمبر1855 قادما من القسطنطينية مع حوالي 110 شخص منهم 30 امرأة من عائلته، ووجد أمامه المئات من الجزائريين في استقباله منهم خلفائه، ومساعديه المقربين كأحمد بن سالم [3]الذين هاجروا قبله إلى سوريا.

انبعثت عبقرية الرجل من جديد في أرض الشام، طاغية على المشهد السوري، والإقليمي، والعالمي لما بدأت شرارة هذه الأحداث الدراماتيكية، والمأساوية سنة 1860 [4]بين الدروز، والموارنة، وقاداتهم الأتراك بتأجيج نارها بالتحريض على إبادة المسيحيين لما كان أمر الفتنة قد أخذ سبيله إلى الاستفحال تدخل الأمير عبد القادر بمطلق، وزنه الديني، و السياسي في إخماد أوار الفتنة، وحماية

---

(1) محمد شعبان صوان: **حوادث الشام في أو آخر أيام الخلافة العثمانية**، مقال منشور على موقع تركيا https://www.turkey-post.net/p-39241، . تاريخ الإطلاع04مارس2018، على الساعة 12و15د.

(2) في 17 تشرين الأول 1852 زار لويس نابليون الأمير في سجنه بسراية أمبواز، وأعلن له إطلاق سراحه مشترطا عليه عدم العودة على الجزائر، وقد غادر هو، وعائلته فرنسا في13 كانون 1853 م قاصدا الشرق، ووصل الأمير إلى الإستانة في 09 كانون ال ثاني1853، وزار بروسة بعدها، ومع استقراره في دمشق تبدأ رحلة جديدة في حياة الأمير. ينظر: فؤاد صالح السيد: المرجع السابق، ص.ب 63 ـ 66.

(3) Boulem Bessaih : **De Luis philipe à Napoléon3**, **L'Emir Abdelkader**, **Vancu mais triomphe**, Editions ANEP, Ruiba ,2010, p161.

(4) Réveilé De Beaurgarde: Voissile **ou La captive chrétienne** ,2 ed, Imprimerie saint Joseph ،Marseille,p05

أهل الذمة أمام غوغاء بعض المشاغبين من المسلمين عربا، وأتراكا، من خلال الاتصال بعلماء البلد، حيث ما فتئ يراسل مشايخ الطائفة الدرزية، و ينصح لهم بخفض الجانب لإخوانهم المسيحيين.

مع بدايات هذه الفتنة كان الأمير يسمع عنها الأخبار التي تأتيه، وكان يسدي النصح لأهالي الشام المتنازعين، ويراسل علماء حمص، وحماه، وبمجرد سماعه عن تقدم الدروز نحو دمشق ، وتخريب الكثير من بيوتها، وممتلكاتها كتب رسالة لشيوخ الدروز في جبل لبنان يقول فيها "**إنكم تدركون صداقتنا لكم، واهتمامنا بالصالح العالم لجميع عباد الله... إن الحكومة التركية، وكل الناس يعرفون عداوتكم القديمة نحو مسيحي جبل لبنان**..."[1]، والرسالة توحي جذور هذه العداوة القائمة بين الدروز، والمسيحيين، وتراكمها في النفوس، وإطلاع الحكومة العثمانية بالأوضاع، وعلمها بمدى الخلاف، والهوة الموجودة بين طرفي الفتنة، ومحاولة الأمير التدخل لوأدها في المهد.

خاطب بني جلدته، وملته بكل موضوعية بعيدا عن التحيز مخاطبا إياهم بلسان الإنسان المسلم لا بلسان المتمذهب أو القومي أو العنصري، واضعا يده على الجرح موجها اللوم للدروز الذين قاموا بالتخريب، والنهب في ضواحي دمشق.

دخل الأمير أحياء المسيحيين بعد انسحاب قوات الأتراك تاركين تشتعل، ومعه ألف رجل يحرسون المنازل، وقد أعطاهم الأمير الأمان، وعاد بهم على منزله رجالا، ونساءا، وأطفالا، وشيوخا في حالة كارثية، وفي هذه الأوقات الكئيبة، والحزينة انفجرت ينابيع الإنسانية في قلب الأمير تجاه المسيحين، فراح يخلي البيوت المجاورة إيثارا لهم، وحماية لهم من الدروز، وتعسف الأتراك[2].

وقف في وجه تعسف، وتهاون الأتراك، ورمى بكل ثقله لحماية المسيحيين الذين كانوا تحت حراستهم لأنه كان على علم بتواطؤ قواتهم مع الدروز فاعترض طريق هؤلاء، وحمى المسيحين من الذبح، والاغتصاب، ولما كانت أخلاق، وإنسانية الأمير سدا منيعا، وحصنا حصينا أمام الدروز

---

(1) هنري شارل شرشل: حياة الأمير عبد القادر، المصدر السابق، ص282.

(2) هنري شارل شرشل: حياة الأمير عبد القادر، المصدر السابق، ص284.

حاولوا بكل الطرق للفتك بالمسيحيين الذين كانوا في منزله فحاصروه فرد عليهم: "**إنني لن أسلم إليكم مسيحيا واحدا، إنهم إخوتي فتقهقروا، وغلا أمرت رجالي بإطلاق النار**"[1].

ضمن كذلك الأمير عبد القادر سلامة القناصل، والمبعوثين الأوربيين لأكثر من شهر فتلاشت هذه الجموع في موجات متلاحقة تحت حراسة الجزائريين ليظهر بذلك الأمير الصورة الحقيقية للإسلام الذي يحمي الإنسان دون أي اعتبار للون أو العرق أو الدين أو شيء آخر ـما جاوزا النظرة الضيقة، والدونية التي رسمتها، ورسختها المذاهب، والديانات الوضعية حول الإنسان، وعلاقته بالأخر.

يشهد له التاريخ، والإنسانية جمعاء بإنقاذه لحوالي خمسة عشر ألف مسيحي من القتل، والتعذيب، والاغتصاب، فما كنا على أوربا إلا أن تنحني إجلال، وتكريما للرجل، وأرسل ملوك، وقادة أوروبا رسائل الشكر، والتقدير على شجاعته مع منحه الأوسمة، والنياشين اعترافا بإنسانيته.

ومن روسيا يتلقى الأمير رسالة من الإمام شاميل الذي قادة ثورة ضد الروس في الداغستان شكره فيها على إنقاذها المسيحيين بعد فتنة دمشق [2] كما تلقى رسالة شكر من مونسيور بافي أسقف الجزائر سنة 1862 بعد إنقاذه لألاف المسيحيين في دمشق[3].

بهذه الأعمال برز الأمير بعظمة روحه، واحترامه كمتفتح، ومحاور، وبهذا أعطى نموذج الإنسان الفاضل للأخر[4] .

إن العلاقة المتشنجة اليوم بين المسيحين، والمسلمين في الكثير من مناطق العالم، حري بها أن يعاد صياغتها، وترتيبها من جديد وفق رؤى إنسانية، وأطر أخلاقية ناظمة تهندس لوشائج التعايش، والإخوة التي رسخ أسسها الأمير بفكر لامع، وقلم ناصع، وسلاح، واقي.

---

[1] المصدر نفسه، ص285.

[2] دوحة عبد القادر: المرجع السابق، ص ص235 . 236.

[3] ينظر الملحق رقم 04.

[4] Idriss El Jazzairi : **Itineraire d'un homme universel**, Colloque d'Abdelkader, Université de Pau,8 nouvembre2013, p02.

إذا كان الأمير فوق التراب لا يغمض له جفنا، وهو يدافع عن المخالفين له في الدين بسماحته، وكرمه، وانفتاحه، وأخلاقه قد منع سيل دماء مسيحية كثيرة على ارض إسلامية، فإنه تحت التراب يئن من المذابح، والمجازر التي ترتكب في حق السوريين بمختلف شرائحهم، ومذاهبهم، ومن لبنان المجروح بخنجر النعرات الطائفية، ومن الإبادة التي تطال مسلمي الروهنغا في ميانمار على يد الحكومة المحلية، وغيرها من الاعتداءات المفتكة بأرواح المسلمين اللاجئين، والمضدهين في الكثير من بلدان العالم.

إذا كان الأمير ميتا فأمام العالم المسيحي، وغيرها من أهل المذاهب، والديانات فرصة تاريخية لإحياء فكر الأمير عبد القادر لإعادة رسم علاقات دولية إنسانية تقدم، وتخدم الإنسان قبل المصالح بعيدا عن الدوغمائية السياسية، والتزمت الديني.

د– خصوم الداخل:

منذ الوهلة الأولى للبيعة سنة 1832 انطلق الأمير عبد القادر من منطلقين اثنين، وهما : الواجب الديني ، والواجب الوطني، مدعما بشرعية شعبية تعد سابقة في التاريخ الحديث للجزائر قطعت الصلة مع العهد التركي البائد الذي تلخص، وجوده في الاستنجاد، والاستبداد، والارتداد، مراحل نراها محطات أساسية لخصت لنا السياسة التركية في الجزائر، وممارسات الحكم التركي الذي كانت شرعيته تدور في مجال الساحل الجزائري الضيق، وبعض المناطق الداخلية أما بقية المناطق الجزائرية فكانت تحت سيادة القبائل، والطرق الصوفية التي استمدت شرعيتها من الواقع الديني، والاجتماعي، والاقتصادي.

كان على هذه القوى المحلية التي تمارس سيادتها على القبائل أن تذوب في الكيان السياسي الجديد تحت قيادة جديدة وفق آليات جديدة لم تكن على عهد بها، فبعضها دخل في صف الأمير عبد القادر، وبعضها ناوئه، والبعض الأخر تمرد عليه فما كان منه إلا أن يفرض سلطان الدولة، وإقامة النظام .ويلخص بلمار الوضع في مقاطعة وهران في نهاية شهر نوفمبر كما يلي:" **كانت هناك خمس تأثيرات قسمت البلاد ففي الغرب سيدي العربي، الذي يمارس سلطته في القسم المجاور**

لشلف، وفي الجهة الشرقية كان بن نونة قائد تلمسان الذي اصبح خليفة لسلطان المغرب، وفي القسم الشمالي الموجود في جوار وهران كان مصطفى بن إسماعيل، والمزاري، زعماء سابقين للمخزن التركي، وفي الجنوب كان سلطة الغماري الذي حكم قبيلة أنجاد ..."[1].

بين الشرعية الشعبية القائمة على بيعة الأمة، وشرعية بقايا النظام التركي تشتعل نار الخصومة بين الأمير عبد القادر، واحمد باي* الذي قاد المقاومة في الشرق الجزائري، ويعتبر هذا الأخير أحد معطيات المقاومة التي ستني معادلة غير مكتملة باعتبار استحالة جمع المعطيين التركي، والجزائري في معادلة واحدة للأسباب عدة، ولعل أبرزها سيادة ظاهرة الزعامة، ومع انحلال مؤسسات الحكم التركي ظهر فراغ سياسي كان لابد من ملئه، لخصه صاحب كتاب طلوع سعد السعود فيما يلي "**ولما ذهب الأتراك من وهران، والمغاربة من المعسكر، وتلمسان، وذلك عامستة، وأربعين من الهجري، وعام ثلاثين واحدي، وثلاثين من المسيحي الحبري قامت العرب على بعضها بعض في كل ناحية، ومكان، وعمت الفتنة، وعظمت البلوى في أقطار المغرب الأوسط...**"[2]هكذا يشرح المزاري الواقع المأساوي للجزائر في ناحية الغرب لذلك وجب على الأمة انتخاب قائد عليها فوجدت ذلك في الأمير فقدمت له بيعتها على أساس الطاعة، والولاء.

رغم هذه المبايعة إلا أن بعض القوى المحلية اعترضت مشروعه فحاول فكان يتعامل معها بالسياسة، والليونة، واحيانا بالصرامة اذا اقتضت الضرورة ذلك، وكان أحمد باي أحد العناصر الكرغلية الفاعلة التي وقفت موقفا معاديا من الأمير، ومشروعه ، ولم يحاول الخروج من دائرة الشرعية التركية حتى في مقاومته للفرنسيين، ووصف الأمير بالمرتد، ووصفه حمدان خوجة بالمارق عن الدين

---

[1]Alex Bellemare, Opcit, p33.

* من مواليد قسنطينة حوالي عام 1785مكان، والده محمد الشريف أحد خلفاء حسن باي 1792، وامه الحاجة شريفة من أسرة بن قانة، قاد الحرب ضد الفرنسيين بعد استسلام الداي حسين 1830،الى غاية استسلامه للفرنسيين، ووفاته سنة 1850.ينظر:عميراوي حميدة :**من الملتقيات التاريخية الجزائرية**، ط2، دار الهدى، الجزائر،2006م.

[2] الأغا بن عودة مزاري: المصدر السابق، ج2، ص94.

[1].ونفس الموقف وقفه كراغلة تلمسان، ومازونة، ومستغانم، مفضلين التعاون مع العدو المحتل على الدخول تحت طاعة الأمير عبد القادر، والذوبان في دولته، وكان في تعامله معها يستعين بالعلماء، والمفتين يأخذ بآرائهم، وفتاويهم تطبيقا للعدل، وإحقاق للحق.

لقد خضعت للأمير عبد القادر عشرات القبائل، وكانت نتائج نظامه، وحكومته طيبة، وملموسة في كل مكان، هدفه الاسمى جعل الجزائريين شعبا واحد، بنشاطه، وحيويته، وتفكيره، وكان يؤمن بأن انتصاراته ستحقق بدون إراقة الدماء، ويتحدث شرشل عن إخضاع القبائل الكبرى فيقول:"... **تلك القطعة الساحرة من جرجرة التي كانت تمتد شرقا من مدينة الجزائر إلى بجاية هي الآن مسرحا لانتصاره الباهر، وهو الانتصار الذي كسبه بقوته المعنوية...**"[2]، وبعد دخوله جرجرة خطب الأمير في أهاليها، وبين لهم أنه جاء كإنسان بسيط معتمدا على الحق، ولم يأت كالأتراك ليفرض نفسه بالقوة[3]، وبالتالي كانت سياسة اللين، والغراء كثيرا ما تحقق نتائج كبيرة، وملموسة عكس سياسة القوة .

رغم أن مبايعة الأمير عبد القادر كانت على أساس نصرته، وطاعته، وإسداء الولاء في السراء، والضراء له، وبذلك تعتبر المبايعة عقد شرعي بين الأمير، ورعيته، ولا يجوز عصيانه، والتمرد عليه، ويقول الأمير محمد "...**فلما تم امر المعاهدة قام أولئك الظلمة، وبثوا دسائسهم في أفكار العامة...**"[4]، ويقصد بالمعاهدة معاهدة ديمشل التي تذرع بها الدوائر، والزمالة، ومن ناصرهم من بني عامر رافضين دفع ضريبة المعونة التي فرضها الأمير لتموين الحرب[5].

---

[1] ناصر الدين سعيدوني: عصر الأمير عبد القادر، المرجع السابق، ص292.

[2] هنري شارل شرشل: حياة الأمير عبدا لقاد، المصدر السابق، ص194.

[3] المصدر نفسه، ص150 .

[4] ودان بوغفالة: المرجع السابق، ص158.

[5] مؤلف مجهول: الميزة الذاتية للأمير عبد القادر، د.ط، مطبعة بريزمارين، برج البحري، 2013، ص ص 56-57.

لكن أخلاق الحرب التي تميز بها غلبت كل نزوع للجور، والشر يعبر عنها خطابه في الممتنعين عن دفع الضريبة قائلا"...**لا أظن أن يخطر ببال أحدكم أن الأموال التي تؤخذ منكم أبتغيها لنفقاتي الشخصية...**"[1] .

مع انشغال الأمير بوضع اللبنات الأولى لدولته الفتيه ظهرت حركة العصيان، والتمرد عليه من طرف بعض القبائل التي رفضت الخضوع، وإسداء الطاعة له، ومما تجدر الإشارة إليه، وهو أن موقف، وتعامل الأمير مع هذه القبائل كان وفق الآليات الشرعية، بحيث كان يستفتي العلماء، والفقهاء في أمر الخارجين عن سلطته، والمتمردين عليه من بينها رسالته للشيخ التسولي* يطلب فيها الإجابة على عدة أسئلة تعكس التحديات التي، واجهها الأمير في حربه مع العدو، والقبائل المخالفة له، والمتمردة عليه، وقبل استخدام القوة ضدها اضطر الأمير النظر فيما يمليه الشرع فراح يطلب الفتاوى من العلماء في المغرب الأقصى حول: القبائل المتعاملة مع العدو المنهمكة في المحرمات، والعصيان، وعقوبة الجواسيس، قضية التعامل مع النصارى، في حرمة ترك الإمام، ونواب الرعية على ما هم عليه من مفاسد، ومظالم، حكم التخلف عن الاستنفار، حكم من رضي بمساكنة، وجوار العدو، حكم مانعي المعونة لبيت المال، وغيرها من المسائل [2].

رغم جسامه الحرب التي يقودها في ظل توالي التمردات، والعصيان، والامتناع عن الطاعة كان الأمير يراعي الظروف، والأحوال التي عليها القبائل، وخاصة، وأنها كانت تملك السلطة الروحية، والزمنية عبر التاريخ مما فرض عليه التصرف بحكمة، وكان أحيانا يستخدم القوة لتكون عبرة لغيرها، وفي ذلك يقول: "**وليس في الصحراء سوى أربعة مراكز لم تصلها سلطتي، وهي ميزاب، و ورقلة،**

---

[1] المرجع نفسه.

* عاش في النصف الثاني من عهد الدولة العلوية التي أسسها المولى محمد بن شريف، رأس ملوكها، وقد بلي عصر العلويين في العصر الذي عاشه التسولي بأحداث سياسية كان لها اثر عميق في المجتمع المغربي. ينظر: التسولي: **أجوبة التسولي عن مسائل الأمير عبد القادر في الجهاد**، تحق عبداللطيف أحمد الشيخ محمد صالح،ط1،دار الغرب الإسلامي، الجزائر،1996 ص18.

[2] الأمير محمد بن عبد القادر الجزائري: المصدر السابق، ص ص212. 215.

ووادي سوف. أما أولاد سيدي الشيخ فقد اعترفوا بسلطتي، حقا لقد منحتهم بعض الامتيازات، وسمحت إليهم بدفع ضرائب منخفضة، ولكنهم كانوا قبيلة من المرابطين، ومن واجبي أن أعاملهم بدرجة خاصة بإكرام، وأما أهل القصور مجموعة من القرى في الصحراء فهم لا يدفعون إلا القليل...وهم ينظرون إلى موقفي هذا منهم على أنه رفق بهم..."[1].

أمر الأمير عبد القادر خلفائه بتجنب اشتراط دفع ضريبة العشور، والزكاة نقدا، وقبولها عينا مما يبرهن على المرونة لدى الأمير في تحصيل الضريبة عكس ما كان سائدا زمن الأتراك[2]، وطبق مبادئ الشرع كالعادة في بناء دولته، فهو كان عادلا في اختيار الموظفين حيث استعان بالمخزن، والكراغلة [3]وعمل جاهدا على كسبهم إلى صفه لما لهم من قوة، وشدة في الحرب إلا أن هذه القبائل، ولأسباب تاريخية، واجتماعية، وسياسية كانت دائما مع الطرف الغالب، والقوي، والتاريخ يشهد عليها بتبديل الولاء أي أنها تترقب ميزان القوى المترنح لتنحاز للطرف المنتصر.

يتحدث كارل بيرنت **johann Carl Berndt** عن مهارة الأمير في كسب ألد أعدائه، وخصومه بليونته فيقول"..، **وأقام علاقات طيبة مع العرب في المناطق الفرنسية، وأستطاع أن ينجح في استمالة أعدائه الالداء من الدوائر فانضم سكان أكثر من عشرين خيمة بعد توقيع المعاهدة بفترة قصيرة..."**[4].

كان الأمير عبد القادر قاضيا عادلا في رعيته يجلس فينظر، ويدقق في الشكاوى، والمظالم التي ترفعها القبائل إليه، وكل الأحكام كانت تصدر وفق القرآن الكريم.[5]

تعتبر الطرق الصوفية إحدى القوى المحلية التي تتمتع بالسلطة الروحية على الكثير من القبائل، والأمير كان يتعامل معها بمرونة، وحذر نظرا لوزنها، ودورها المؤثر في الحياة الاجتماعية، والسياسية

---

(1) هنري شارل شرشل: حياة الأمير عبد القادر الجزائري، المصدر السابق، ص ص136.137.

(2) سلطانة عابد: المرجع السابق، ص104.

(3) عائشة بن ساعد: المرجع السابق،301.

(4) يوهان كارل بيرنت: **الأمير عبد القادر**، تر أبو العيد دودوا، د.ط، دار هومه، الجزائر، 2012، ص142.

(5) هنري شارل شرشل: حياة الأمير عبد القادر، المصدر السابق، ص 155.

ومن الطرق التي فشل في كسب، ولائها هي الطريقة الطيبة، وجموع درقاوة في الغرب الوهراني إضافة الطريقة العيساوية التي حاول الأمير أن تجنب الاصطدام بهاو يتعامل معها في ظل ميكانيزمات الولاء السائدة آنذاك مفضلا سياسة المرونة على سياسة المواجهة.

رغم العداء الصريح الذي أبانت عليه الطريقة التيجانية[1] إلا أن الأمير سعى على سياسة الرفق، والليونة قبل حصار، ودخول عين ماضي، ويشرح سبب توجهه إلى عين ماضي، وبقية الصحراء عندما قال: "**لا للإضرار بالمسلمين الحقيقيين، ولا لإخضاعهم، وتخريبهم، ولكن لإيقاظ إيمانهم، وجمع شملهم، وإقامة النظام بينهم**"[2]، وهكذا، ورغم عناد التيجانيين، ومواصلة الأمير حصارهم، وما لاقاه من خداع السكان داخل الأسوار إلا أن الأمير أجاب طلب السكان بالعفو، والصفح عنهم.

مع اتساع أرض المعركة، والامتداد الجغرافي للجزائر كان الأمير عبد القادر يواجه تحدي التمرد، والعصيان، سواء كانت قبائل أو طرق صوفية إلا أنه كان يتعامل معها وفق الرهانات الجينيالوجية، والاجتماعية، وذلك لما تتمتع به هذه القوى المحية من قوة، ونفوذ، وسيطرة على مجالها الترابي، مما فرض على الأمير التعامل بحكمة، وسياسة في الكثير من المرات، وما استخدام القوة ضدها إلا للضرورة، وان استخدمها فإنه يلجأ إليها مكرها.

---

(1) Léon roches : **trente-deux ans à travers l'islam**, **1832-1864**, t1, éd 1884, librairie de firmin-didot et c^te^, imprimeurs de l'institut Paris, P 313.

(2) هنري شارل شرشل: المصدر السابق، ص 131.

2. أخلقة الحرب وتدوين القانون الدولي الإنساني عند الأمير:

كان موضوع الأخلاق من صميم اهتمام الأمير فكرا، وسلوكا عبر مساره النضالي ضد الفرنسيين، فلم ينحط يوما إلى منزلة همجية عدوه، مقتديا بسلفه في الحرب، والسلم بتطبيق ما تمليه الطبيعة الإنسانية على الإنسان، من رحمة، وشفقة وعدل، وخفض الجناح، بعيدا عن الغرور، والظلم، والتهور مدونا بأخلاقه صفحات مشرقة تشع إنسانية أدهشت العدو نفسه.

أ- مفهوم الحرب عند الأمير عبد القادر:

إن الحرب التي اضطر الأمير إلى قيادتها فرضها الواجبين الديني، والوطني باعتباره جهاد ضد قوة صليبية معتدية انتهكت حقوق الإنسان الجزائري هذه القوة المستندة على المؤسسة الكنسية، والماسونية، والدعم الأوربي، استهدفت الأرض، والأعراض، وقيم، ومبادئ الشعب الجزائري المسلم وجهاد الشعب الجزائري حق طبيعي يضمنه، ويدعو إليه الدين، والفطرة الإنسانية رغم ما فيها عبئ في التضحيات، والتكاليف.

كانت الحرب من منظور الأمير كلها شر تعارض كرامة الإنسان، وجوهره، ولو أنها واجب على المسلمين، وهو الذي بايعته الأمة على الجهاد، وفي ذلك يخاطب الأمة قائلا"...**إنني أدعوكم إلى الجهاد في سبيل الله** ..."[1]وبهذا النداء يكون الأمير، وفيا للتراث الإسلامي، وتقاليده في المقاومة، والنضال، مستنبطا نظرياته، واستراتيجياته في الحرب من القرآن الكريم معتبرا حربه جهادا ضد عد، وكافر.

هذا الرجل قدر له شرف الدفاع عن الروح الإنسانية التي قدستها الشرائع السماوية، لا منتهكا، ولا متعديا، وإن كان سيفه حاد فهو من جهة أخرى أملس، وقلمه، وسيفه يشهدا على رحمته من قبل أعدائه، وأكثر من ذلك سعى الأمير إلى حمل الخصوم إلى مصاف الإنسانية، وضمهم إلى أخوة أممية، استشفاعا بالجهاد المقدس لإحقاق الحقوق المسلوبة، وصد همجية الغزاة الذين كان الأمير مع

[1] هنري شارل شرشل: حياة الأمير عبد القادر، المصدر السابق، ص151.

ذلك يحترمهم، ويحسن غليهم، محافظا، وهو في وسط فظاعة الحرب على روح هادئة، وساكنة تشع مودة، ورحمة [1].

من خلال قراءة سيرة جهاده ندرك أن سلاح الأمير في مواجهة أعدائه، وخصومه هي: الأخلاق، والفضائل التي يتميز بها معطيا لهم دروس في فنون العلاقات، والتعامل في الحرب محاربا نوازع النفس الشريرة قبل محاربة العدو، فكانت حربه جهادية، وشرعية [2]وما يجب التركيز عليه أن مفهوم الحرب في فكر الأمير كانت قائمة على مبدأ الدفاع، والحماية "... **حلفت أن أدافع عن ديني، وأحافظ على بلادي**..."[3].

إن هذه القاعدة تأخذ في الحسبان في سلوك المسلم أنسنة الحرب، والتي تعني مراعاة الروح الإنسانية وعدم التعدي على الأملاك، والأعراض، وللأمير رؤيته في شعيرة الجهاد التي بها يضعه في مرتبة السلف ممن ذبوا عن العقيدة، وصانوا الوديعة [4].والجهاد عند الأمير يندرج ضمن منظومة سلوكية متكاملة لا تنفصم عن بعضها البعض في شخصية الإنسان، وهذا ما نستنتجه من كل كتاباته، ومن معاملاته، ويقسم الجهاد إلى قسمين جهاد أصغر الذي عرفه الفقهاء على أنه قتال مسلم كافر الإعلاء كلمة الله، والجهاد الأصغر الذي هو جهاد النفس، والهوى [5] .

إن البعد الجهادي في حربه يكون ببناء الإنسان المسلم العارف بالله، وبدينه، والمتخلق بأخلاق القرآن، ولذلك كان يحرص على انتقاء جنوده، وقادته من الذين يحفظون كتاب الله، ويحافظون على صلواتهم، وسمى جيشه بالجيش المحمدي، اقتداء بالنبي صلى الله عليه، وسلم، وحتى يعطي لجنوده، وضباطه المثال، والنموذج في المعاملة، وسلوك الحرب. كما اجتهد في بناء دولته من الأساس حتى

---

(1) منشورات زكي بوزيد: **الأمير عبد القادر ملحمة الحكمة**، د.ط كونتينونتال باك سيرفيس، الجزائر،2007، ص106.

(2) Benjamin Claude Brower : The Amir Abdel Kader and the good war in algeria 1832 _1847, In **Studia islamica**, n106,2011, University USA, p178

(3) الأمير محمد بن عبدا لقادر الجزائري: المصدر السابق، ج2، ص14.

(4) عشراتي سليمان: **الأمير عبد القادر المفكر، مساجلات في قضايا اللغة، والمعرفة، والفقه، والخطاب القرآني**، ط3، دار الغرب، 2009، ص 221.

(5) المرجع نفسه، ص 220.

السقف ذات طابع إسلامي يديرها قضاة، وعلماء، واختيار لقب الأمير كان مشدودا للمرجعية التراثية الإسلامية . يتوافق، ومرحلة الجهاد الذي اعلنه كمالقب نفسه بناصر الدين[1] مما يرمز إلى قدسية وعدالة الحرب التي يخوضها ضد العدو الأجنبي.

.كثيرا ما شغلت ثنائية الحرب، والسلام أو الصلح عقل الأمير من بداية مبايعته سنة 1832 إلى نهاية مقاومته1847، ومما يلفت انتباهنا في تاريخ هذه الحرب التي كان ميزان القوى فيها لصالح الفرنسيين هو أنه كان متعلقا بالصلح، والسلم أكثر من الحرب، وهذا نظرا لتربيته الدينية، ولتكوينه الصوفي مما رفع إنسانيته إلى أعلى المقامات، وفي رده على رسالة بيجو الذي خير الأمير بين الحرب، والصلح قائلا: "**إنني اشد الناس رغبة في حصول العافية، وأشدهم بغضا لسفك الدماء بدون موجب شرعي**..."[2] .

كانت الحرب في مخيال الأمير أخلاق قبل أن تكون سفكا للدماء، وممارسة الوحشية، والهمجية، ونجده ينظر لها من خلال ما دونه في كتب المواقف، والمقراض الحاد، وذكرى العاقل، فهو ينظر لسلوك الإنسان مع غيره في حدود الأخلاق لكونه كان يمجد الخلق الذي يرتقي بالإنسان إلى مرتبة الإنسان العاقل، وكان سلوك الحرب بذلك مستمدا من القرآن، ويوضح ذلك في رده على الأمة التي بايعته "**لن آخذ بقانون غير القرآن الكريم، ولن يكون مرشدي غير القرآن الكريم** ..."[3].ووصفه شارل روبير أجيرون بالمؤمن الكامل، والرجل العصري يتحدث للمسلمين باسم الله، وباسم نبيه، وأنه اكتفى بتطبيق القانون القرآني [4].وعلى هذا الأساس سلك الأمير سبيل الحرب منذ البداية رافضا للإجرام الفرنسي غير مضمر للكراهية للمسيحيين أو معتنقيها، واقنع عدوه أنه ليس بالسفاح، وإنما هو رجل متخلق، ومنضبط، ومتقيد بدستور المسلمين الذي يفرض عليه جهاد المعتدين، واحترام أهل الذمة .

---

(1) حميداوي عميرة: محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، ط2، 1425هـ - 2002م، ص ـ ص 53 .54.

(2) الأمير محمد ابن عبد القادر الجزائري: المصدر السابق، ج1، ص172.

(3) العربي منور: **تاريخ المقاومة الجزائري في القرن 19م**، د.ط، دار المعرفة، الجزائر، 2006، ص 135.

(4) شارل روبير اجيرون: **تاريخ الجزائر المعاصرة**، تر عيسى عصفور، ط1، منشورات عويدات، 1982، ص، ص 30 .31.

من خلال قراءاتنا لما كتبه أعدائه ندرك أن الأمير كان خصما، وندا يتحلى بأخلاق سامية حيرت عقول الفرنسيين أنفسهم الذين حاربوه، ومنهم مسيوسوشيه مساعد أسقف مدينة الجزائر عام 1811 الذي قال عنه"... **أن حربه إسلامية ضد كفار معتدين لا يحترمون التعاليم المسيحية**"[1].

وحتى يعطي لحربه بعد أخلاقي نظم أفكاره في كتاب أسماه، وشاح الكتايب كان بمثابة قوانين، وقواعد مؤطرة لسلوك الجندي، والقائد أمام العدو في المعركة فجاءت انعكاسا لفكره السليم، ولنبراس علمه المحكم [2]قد رتبها في مقدمة، وأربعة، وعشرين قانونا، وخاتمة، وبهذا القوانين رسم القائد عبد القادر طريق الحرب، ووضع معالم ليهتدي بها جيشه المحمدي ليتحرك في حدود ما يسمح بها الإسلام، والأخلاق.

من خلال هذا المطلب يتضح لدينا ما يلي:

- أن حرب الأمير عبد القادر كانت جهادا شرعيا ضد قوة صليبية طاغية.
- أن قيادة، وأمارته للحرب كانت تعبر عن تمسك بالموروث الإسلامي للأمة في الانتخاب، والاختيار، وفي مواجهة العدو.
- سمو الأخلاق الأميرية، وانحطاط مثل، وقيم الثورة التي تتشدق بها فرنسا في العالم العدل، الأخوة، المساواة.
- إن مثالية، وكمالية الروح الأميرية زرعت بذورها الإنسانية في النفوس المحمدية في ظروف تلتهب نارا أمام عدو فاق المغول في جرائمه ضد الإنسان الجزائري.

ب–الأمير، وتدوين القانون الدولي الإنساني:

إن سماع كلمة الحرب توحي للسامع بكل معاني الخراب، والدمار، والمآسي، والويلات، وقد خبرتها الشعوب، والأمم على مر التاريخ، وعبر عهود سحيقة، فيغيب فيها صوت الإنسانية، ويحل محلها صوت الحيوانية المهلكة للوجود الإنساني، وكم عانت الأرض من صراعات، ونزاعات مدمرة،

---

(1) الأميرة بديعة الحسيني: الأمير عبد القادر الجزائري، حياته، وفكره المرجع السابق، ص53.

(2) مؤلف مجهول:، وشاح الكتايب، وزينة الجيش المحمدي الغالب، المصدر السابق، ص14.

ومخيفة كانت، وبالا على أرواح البشر الذين يتوقون للأمن، والسلام، والطمأنينة. إنها ظلمة النفس البشرية عندما تستيقظ فيها نوازع الشر، وبواعث الظلم متناسية قدسية الخلق، وحرمته في لحظة جنونية تكون فيها شياطين الإنس قائدة لا تقر فيها إلا بسيادة قانون القوة.

كم هو حافل تاريخ البشرية بمجرمين سطروا بأياديهم الملطخة بدماء الأبرياء صفحات سوداء مازالت الأمم، والشعوب تلعنهم كلما تقلب صفحات التاريخ أو كلما توقظ الذاكرة، وإنسانيتنا تدفع بنا لأن نحق حق شخصيات إنسانية فكان منها شخصية الأمير عبد القادر التي وقفت في وجه الإجرام الفرنسي المتوغل لمدة ستة عشر عام، ولا نود في هذا المقام تكرار ما ذكر سابقا حول أخلاق، وسلوكات هذا المحارب المسلم، وإنما نسلط الضوء على مدى مساهمته في تكريس، واحترام حقوق الإنسان، هذا المصطلح الأخير يشمل على مفهومين: الحقوق، والإنسان.

- فالحقوق لغة: تعني الشيء الثابت قطعا بلا شك، أو هو النصيب الواجب للفرد أو الجماعة[1] .
- أما اصطلاحا: ما ثبت في الشرع للإنسان أو لله تعالى على الغير.[2].

استطاع الأمير أن يشارك، ويصيغ قوانين ملزمة ساهمت في أنسنة الحرب، وبذلك يكون رائدا لأول تجربة في التاريخ الوطني ليحد من شراسة الحرب ليساهم بذلك في إثراء التجربة الإنسانية في مجال القانون الدولي الإنساني المنظم للحروب، والنزاعات. برهن المحارب الجزائري على عبقريته العسكرية، وعلى مهارته التنظيرية، وعلى حكمته السلوكية من خلال، وضعه تنظيما عسكريا صارما يمنع قتل، وتعذيب، وإعدام أسرى العد، ووقد دون هذا التنظيم في ميثاق مكتوب سنة 1843م، ويتضمن هذا الميثاق[3] ما يلي:

---

[1] سكني فاكية: **التنمية الإنسانية المستدامة، وحقوق الإنسان**، مذكرة لنيل شهادة الماجيستر في القانون العام، جامعة فرحات عباس كلية الحقوق، سطيف، 2009. 2010، ص07.

[2] نفسه.

[3] منشورات زكي بوزيد: المرجع السابق، ص124.

كل فرنسي يؤسر خلال المعركة يعتبر أسير حرب، ويعامل على هذا الأساس حتى يتم استبداله بأسير جزائري.

- منع قتل أي أسير مجرد من السلاح.
- كل عربي يأتي بأسير فرنسي سالما يمنح 8 دورو.
- كل عربي يقع تحت حراسته أسير فرنسي ينبغي أن يعامله جيدة، وفي حالة اشتكاء الأسير من سوء المعاملة تلغى المكافأة زيادة على العقوبات التي يمكن إقراراها.

أثبت الأمير خطأ النظرية الأوربية التي تستسيغ دم الإنسان تحت طائل القوة، والتي تقول: الغاية تبرر الوسيلة. فقد اشترط على جنوده أن لا يقتلوا النساء، والأطفال، والعجزة، والضعفاء، وأهل العلم، والصناعة، ورجال الدين، ووصل به الأمر إلى منع المسلم الذي كان أسيرا عند العدو من الإغارة ثانية إذا كان قد أعطى عهدا بعدم الإغارة [1].

بإسهامه هذا يجسد نموذج، ومثال المسلم الحكيم وفق اعتراف ألكس بلمار[2] أن الفرنسيين اثبتوا بسلوكهم الدموي في الحرب أن الحرب عندهم ليست إلا قوة، وتغلب بغض النظر عن ضحاياها الأبرياء، وهذا حال الحضارة الإمبريالية القائمة على معايير مادية بحته أفرغت الإنسان الأوروبي من روحه، وقد اعترف أليكس دوتكفيل بالدمار، والخراب الذي تفننت فيه فرنسا ضد الجزائريين "**إننا جعلنا المجتمع الإسلامي أشد بؤسا، وأكثر جهلا، وأشد همجية من كثير أكثر مما كان عليه من ذي قبل**"[3].

إن الضدية التي تميزت بها الحرب من خلال الثنائية المفهومية بين حرب فرنسية همجية، وحرب أميرية إنسانية تفرز لنا صور، وفنون من المعاملات من الطرفين، فبالنسبة للأمير:

1) قدس حرمة الإنسان الأسير.

---

[1] ودان بوغفالة، المرجع السابق، ص 142.

[2] Elex Bellmar, op. Cit, p06..

[3] شارل روبير اجيرون: المرجع السابق، ص36.

2) أتقن أبجديات الصلح، والسلام مثل الحرب.

3) أخلص في حفظ، وحماية العهود، والمواثيق.

لقن جنوده تعليمات، ومقاصد الحرب منذ بيعته الأولى، والثانية بعدم التعدي على الحرمات، وانتهاك الأعراض وعدم السلب، والنهب أو حرق الممتلكات، وبين ذلك في كتابه حسام الدين قائلا: "**الضرورات التي يجب حفظها خمس، وهي على الترتيب الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال**"[1].

أما الفرنسيون فحربهم كانت مغولية بكل المقاييس لخدمة الأهداف الإمبريالية للحضارة الأوروبية، ويعترف المؤرخ الإنجليزي أليستر هورن **Alistair Horn** بذلك" **الجيش الفرنسي كان يطبق إجراءات انتقامية، وسياسة الأرض المحروقة** "[2] .

عندما يتحدث العالم اليوم عن حقوق الإنسان يجب أن يذكر اسم بطل الإنسانية الأمير عبد القادر الذي يعد علما من أعلام حقوق الإنسان* قبل أن يقوم هنري دينان **Henri Dunant** بتأسس منظمة الصليب الأحمر، وسبق له أن زار الجزائر، ومكث بها، ووقف عن كثب على شدة الجرائم الفظيعة في حق الجزائريين خلال بدايات الاحتلال [3].

خلال القرن شهد العالم ظهور عدة اتفاقيات تنص على المعاملة الإنسانية في الحروب، والنزاعات في أي مكان على الأرض، ومن بينها : اتفاقيات جنيف 1929م واتفاقية لاهاي لاحترام

---

[1] الأمير عبد القادر الجزائري: **مخطوط حسام الدين لقطع شبه المرتدين**، ص 02.

[2] Alistair Horn : **histoir de la guerre d'Algerie**, trad, Yves du Guerny en collaboration avec Philippe Bourdrel,4éme éd, Dahlan, ALGERIE, p30.

* إتفاقيات جنيف، وبروتوكولاتها الإضافية معاهدات دولية تضم أكثر القواعد أهمية للحد من همجية الحروب، وتوفر الإتفاقيات الحماية للاشخاص الذين لا يشاركون في لأعمال العدائية(الجرحى، والمرضى، وجنود السفن الغارقةواسرى الحرب)للمزيد ينظر:
https://WWW.icrc.org;/ara/war.and .law/treities .cumastory
.law/genevaconvention/overview .genevaconventio.htma

[3] منشورات زكي بوزيد: المرجع السابق، ص124.

قوانين، وأعراف الحرب البرية لسنة 1907م[1]، ثم البروتوكول الإضافي لسنة 1977 الذي خصص بعض مواده للمقاتلين، والأسرى، وينبغي الإشارة إلى أن القانون الدولي الإنساني ختم تطوره في قضية معاملة أسرى الحرب بالاتفاقية الثالثة من اتفاقيات جنيف المنعقدة 1949م، وبإجراء مقارنة بين محتويات هذه الاتفاقيات الإنسانية، والقوانين التي فرضها الأمير على خلفائه، وضباطه، وجنوده في الحرب رغم الفارق الزمني يبدوا لنا أنه، وضع أسس لقوانين دولية ملزمة بتغليب النزعة الإنسانية على النزعة الوحشية للحرب، ويلخص الكونت دوسيفري رغم انه ممن مدحوا، وحشية الفرنسيين سلوك الأمير المحارب قائلا: "**إنه نموذج لكل محارب منزوع السلاح** "[2].

يمكننا أن نقول إن سلوك الأمير في حربه مع العدو الفرنسي كان يعطي رسائل حضارية للغرب الإمبريالي من غربه إلى شرقه، ومن شماله إلى جنوبه، هذه الرسائل يجب أن يفتحها قادة، وزعماء العالم الذين يقفون مكتوفي الأيدي إزاء الانتهاكات الإنسانية في حق المدنيين وضحايا الحروب، والنزاعات، ليفهموا روح الإنسان من جديد التي قهرتها أداة الحرب.

حتى، وإن نشأ الأمير بين الجبال، والغابات في ظلمة القرن 19 م فإنه كان معلم لدروس في الإنسانية للغرب الذي يدعي الحضارة، والمدنية اليوم.

بحق يعتبر الأمير حامل لواء الشعوب في تقرير مصيرها. فبأفكارها كان فيلسوفا، وقانونيا، يشهد له التاريخ أنه كان رائدا، وحاميا لحقوق الإنسان، ومدونا لقانون الدولي الإنساني حتى قبل صدوره ب 27 سنة. ليصبح بذلك اليوم على حد تعبير بيتر موران "**رائدا من رواد تدوين القانون الإنساني الدولي قبل اتفاقية جنيف 1864**"[3].

---

[1] فاطمة بلعيش: **حماية أسرى الحرب في القانون الدولي الإنساني**، مذكرة لنيل شهادة الماجيستر في القانون الدولي العام، جامعة حسيبة بن بوعلي، كلية العلوم القانونية، والإدارية، الشلف،2007.2008، ص08.

[2] منشورات زكي بوزيد: المرجع السابق، ص126.

[3]: unesco.dz/index.php/ar/sciences sociale. et.humaines/48 / chaire.

فمادية العالم، وأزماته المتعددة، والمستمرة، والمهددة للوجود الإنساني بحاجة لروحانية عبد القادر الجزائري[1] الذي قام بواجبه إخلاصا للدين الإسلامي، ولحقوق الإنسان، بعيدا عن أي استغلال سياسي، وعلى حساب حياته، ومصالحه الذاتية.

ج– الأمير رمز الأخوة والحوار والانفتاح على الغرب:

كلما درسنا، ودققنا في تاريخ حياة الأمير عبد القادر، وشخصيته، وحاولنا، وزن قيمتها تنجلي لنا ثقلها في الماضي، والحاضر، والمستقبل، وذلك لأن شخصيته النبيلة، وان كانت واحدة في ذاتها فهي متعددة بصفاتها، متمايزة بأبعادها جعلت من الأخوة بين المخلوقات، وانفتاح الذات على الأخر، واكتساب تجربته في البناء، والتحديث جوهر الوجود، وغايته.

إن معالم الذات الأميرية المتفردة بأصالتها، ومعاصرتها وجدت حياتها، ومثاليتها، وكمالها في دراسة فنون، وعلوم الحضارات الأخرى، والاطلاع على مواهب، وعبقريات الشعوب المختلفة. فهو المفكر العربي الأصيل الذي زاوج بين شروط المنطق، والفلسفة، ومتطلبات الدين الإسلامي [2] من منطلق أن الإسلام دعا إلى طلب العلوم، وتعلم اللغات من أي مصدر، وفي أي مكان حتى لو في أقاصي الأرض، ويظهر انفتاح الأمير في أثاره من كتاب، وشعر.

حتى لو كان الأمير محكوما بقيود بيئته، وأعرافها، وقوانينها، فإنه كان يتعامل مع التأثير الفرنسي بحذر، وذكاء حتى لا يجلب العداوة، والنقمة ممن حوله، والمعادين لكل ما هو فرنسي، وأوروبي، إلا انه استطاع إن يعمل على إحداث توليفة بين تقاليد شعبه، وبين تيار الحداثة في مسائل الجيش، والإدارة "**خلال خمسة عشر سنة من المقاومة من حيث بناء دولة، ومؤسسات قوية منفتحة، وعصرية**"[3]، وقد كان معجبا بإنجازات الحضارة الأوربية، وبقي على إعجابه حتى بعد نفيه، وسجنه، وسجلت له الكثير من المواقف حول نواتج هذه الحضارة .

---

[1] Briza Khairi, op. Cit. p12..

[2] عبد القادر شرشار: المرجع السابق، ص 129.

[3] Kaddour M'hamsadji : **La jeunesse de L'Amir Abd el Kadr**, s.éd. Office des publication universitaires, Alger,2009, p227.

في نظر الأمير عبد القادر تبقى الإنسانية واحدة، وأشخاصها متعددة، فهي بين التشابه، والتمايز [1]، وعليه فكل مخلوق مجبول على قدر معين من الأخلاق، والعلم، وبها تتفاوت الأمم، والحضارات، وبها يحصل السبق، والتفرد في الحياة.

بنى، ونظم دولة جزائرية وفق معايير إسلامية متكيفة مع روح العصر، ممزجا فيها بين تقاليد السلف، وإفرازات الحداثة الأوربية، عن طريق الاستفادة من الخبرات الفرنسية، والأوربية في تنظيم الجيش، وتصنيع السلاح خاصة، فهذا التغيير المفاجئ الذي أحدث حالة من التعجب، والإعجاب في نفوس الجزائريين حسب ما جاء في كتاب شارل هنري شرشل[2] وهذا الشعور الجماعي ليس إلا حالة نفسية تلقائية على الجديد المستحدث حولهم داخل دولة فتية.

إن تفاعل الأمير عبد القادر مع الحضارة الأوربية كان نابعا عن قناعة، وإيمان بضرورة الصيرورة مع حركية التاريخ، والتنبيه لخطورة الاستكانة للجهل، والجمود الفكري. "**وقد خطر للناس أحيانا أن يروا في هذا المؤمن الكامل رجلا عصريا**"[3].

إن مسالة تقبل الأمير للآخر، والعيش معه في فضاء إنساني شاء الله أن يجعل الجسر المتوسطي الحلقة الرابطة فيه بين ساكني الضفتين [4]. فالأمير حلم دائما بتحالف بين حداثة الغرب، وروحانية المشرق، ولتجسيد ذلك حضر حفل تدشين قناة السويس، وأعتبر الحدث فأل حسن ـ كان محاورا جيدا مع أعدائه فاتحا قلبه لهم في وقت الحرب، والصلح متفهما للظروف غير متعصب، ولا متشدد في مواقفه، وها هو يذكر بيجو ببعض القيم التي تكون أساسا لحوار، وتفاهم بناء، وهي احترام الآخر، عدم نقض العهود، والتمسك بالصلح، والدعوة للسلام. [5]

كان الأمير يلح على الفرنسيين، ويذكرهم بمبدأ حسن الجوار في العديد من خطاباته، ومراسلاته، ولقائته بالفرنسيين، وهو ما نجده في مواثيق، ومبادئ الأمم المتحدة حيث جاء في المادة

---

(1) لأمير عبد القادر الجزائري: ذكرى العاقل، وتنبيه الغافل المصدر السابق، ص36.37.

(2) هنري شارل شرشل: حياة الأمير عبد القادر، المصدر السابق، ص86.

(3) شارل روبير أجيرون: المرجع السابق ص30 . 31.

(4) منشورات زكي بوزيد: المرجع السابق، ص134.

(5) هنري شارل شرشل: المصدر السابق، ص123.

74 ما يلي" نحن شعوب الأمم المتحدة، وقد آلينا على أنفسنا أن نأخذ أنفسنا بالتسامح، وأن نعيش معا في سلام، و**حسن جوار**..."[1].

ـ إن ثقافة الأمير عبدالقادر شكلت جسرا للتواصل مع خصومه، وأعدائه في مناخ روحي، وعاطفي، مثمنًا قيَم الأخوة، والعدل بين البشر، رافضا، وممقتًا لرذائل الجور، والبغي، والطغيان، ومتعاليًا عن التعصب الديني، والعرقي، وفي نفس السياق، وفي كتابه ذكرى العاقل أكد الأمير أن الديانات تكمل بعضها البعض، وتهدف جميعا إلى التسامح ،كما دعى إلى حوار بين الديانات بل أكثر من ذلك إلى تحالف بين الحضارات [2]،ومن المدهش أن نرى الأمير يتواصل مع أعدائه، وهو في سجنه ليعبر عن عظمة الإسلام، ورقي أخلاقه كمراسلته مع اسقف مدينة الجزائر ديبوش[3].ولقد ندى الأمير الضمائر الحية جمعاء في العالم داعيا إلى الحوار، والانفتاح بعيدا عن انكفاء، وانطواء الذات على نفسها قائلا "**لو أصغى إليا المسلمون، والنصارى لرفعت الخلاف بينهم لصاروا إخوانا ظاهرا، وباطنا**"[4].كما صرح في كنيسة المجادلين "**حينما بدأت مقاومتي للفرنسيين كنت أظن أنهم شعب لا دين له، ولكن تبينت غلطتي، وعلى أي حال فإن مثل هذه الكنائس ستقنعني بخطئي**"[5].ويرى أبو القاسم سعدالله أن الرجل كان مطلعا على تيارات العصور، ومتقبلا لروح الأديان، ومستعدا للأخذ بأسباب القوة، والتقدم للغرب الأوربي.

كتب جيلبير ميني **Gilbert Meyni** عن مدى تأثر الأمير بما وصلت إليه مصر من تطور بفضل الأوروبيين، والاستفادة منهم في بناء دولته قائلا "**عرف الأمير باشا مصر محمد علي،**

---

(1) جعفر عبد السلام: المنظمات **الدولية: دراسة فقهية، وتأصيلية للنظرية العامة للتنظيم الدولي، وللأمم المتحدة، والوكالات المتخصصة، والمنظمات الإقليمية**، ط06، دار النهضة العربية بيروت، د.ت، ص318.

(2) الأمير عبد القادر الجزائري: ذكرى العاقل، وتنبيه الغافل، المصدر السابق، ص71.

(3)، واسيني الأعرج: كتاب الأمير، ط2، دار الآداب، بيروت،2008، ص21.

(4) عبد القادر شرشار: المرجع السابق، ص137.

(5) هنري شارل شرشل، حياة الأمير عبد القادر، المصدر السابق، ص23.

وأعجب بدولته من خلال عملية التحديث التي وصلت إليها مصر، وعليه أراد ترسيخ أسس بناء دولة جزائرية إسلامية وحديثة" [1].

من كل ما سبق نجد أن تلك التوأمة الحياتية عند الأمير بين أفكاره، وأفكار الآخر قد شكلت عالما خاصا بها في ذات الأمير، وإن رآها البعض غير ذي أهمية فإن رؤية الأمير للأخر الذي عرف بدمويته وعداوته للعرب، والمسلمين بغض النظر عن الخلفية الدينية التي تتحكم في إدارة الفكر، والسلوك قدر فتحت جسورا، وقنوات للحوار، والأخوة، والانفتاح بين مجموعة من الثنائيات المفاهيمية التي تعكس علاقة الذات بالأخر، وهي:

- العقل، والدين
- الإسلام، والديانات المسيحية، واليهودية
- الأنا، والأخر
- الإبداع، والتقليد
- الأصالة، والمعاصرة
- الحرب، والسلام أو الصلح
- صليل السيوف، وحبر الأقلام

(1) Gilbert Meyni : **L'historiographie Française de L'algerie et les Algeriens en système colonial**, **intervention à Alger**, le 22 octobre ,2010, p21.

3. إنسانيته في كتابات الآخر:

فرض الأمير ببطولته الاستثنائية في الحرب، وبشخصيته المتفردة نفسه على الأخرين سواء كان عدوا أو خصما، هذا الاسم اللامع بشهرته التي طبقت الأفاق وجد اعترافا، وتقديرا لدى الأخر سواء كان عن تلقائية أو على مضض، حتى، وان لم يحرك مشاعر، وضمائر الفرنسين، وهو يحارب فإنه حرك الأقلام، وجلب أنظار العالم، وهو يدافع عن الإنسانية.

كان يمثل مركز التغيير، ومحور المشروع الإنبعاثي النهضوي في ضمير الأمة الجزائرية جاذبا بقوة مغناطيسيته الأطراف المحيطة به تارة تتجاذب فيه بعض القوى، وتارة تتنافر فيه. إلا أن ذوبان هذه القوى الدينية، والسياسية في كيان مركزي واحد كان له ردود أفعال، وصدى بين الرفض، والقبول فهو أمير، وناصر للدين، ومجاهد، وسلطان العرب لدى مناصريه وعدو، ومنافق، ولتوضيح ذلك ارتأينا تسليط الضوء على بعض الكتابات المحلية، والعربية، والأجنبية التي تناولت الأمير الإنسان كل منها لها خلفيتها، ومنطلقها في تناوله لشخصيته.

أ– في الكتابات الجزائرية المحلية:

لم تشفع للأمير شرعيته التي استمدها من روح عقد المبايعة عند خصومه المحليين الذين هم أحد الفاعلين الرئيسين في ميزان القوة السائد داخل الجزائر بعد زوال السلطة التركية في الجزائر فكانت الجزائر أمام تحدي كبير طرح إشكالية الشرعية التي تملا الفراغ السياسي السائد؟. يبدو أن الجزائر بعد 1830 كانت رهينة صراع قوى فكل منها إما تمثل الحاضر أو الماضي أو المستقبل، ويعتبر أحمد باي أحد الذين يمثلون بقايا النظام البائد، والذي كان مشدودا بعقليته التركية للماضي التليد، ورغم مصاهرته لأحدى العائلات الجزائرية التي لها، وزن كبير في الشرق الجزائري إلا أنه لم يحاول الاستفادة منها بذكاء، وحكمة، بل طمح إلى إطالة عمر الحكم التركي في الجزائر.

فنظرة احمد باي الكر غلي تتطابق مع نظرة الأتراك الذين همشوا، وأقصوا الجزائريين خاصة سكان الريف من المساهمة في إدارة دفة الحكم، وكانت كلها تعالي، ومقت، واستخفاف، وانتقاص،

وحتى لشخص الأمير عبد القادر[1]، ولو أن العلاقة بين الطرفين أحمد باي، والأمير يبررها ناصر الدين سعيد يوني بالاعتبار، والظروف النفسية، والسياسية التي أدت إلى توتر العلاقات بينهما [2]، وهذا ما نجده مقبولا في كلام المؤرخ الجزائري، عكس مؤرخين أخرين من راح يتحامل على أحد الشخصيتين.

وصف أحمد باي الأمير في مراسلاته، وكتاباته بالعربي، والمنافق، ومدعي الشرف "**هناك منافق يعرف بعبد القادر بن محي الدين يدعي الشرف ظهر في الغرب**"[3] كما يقول في مذكراته "**كان الحاج عبد القادر قد كتب إلى العرب يخبرهم بأنه أبرم الصلح مع الفرنسيين الذين اعترفوا بسيادته على كامل أنحاء البلاد، وعليه يطلب منهم التخلص من سلطاني، ويدخلوا في طاعته**"[4]، وما نستنتجه من كل ما قاله حول الأمير هو الرفض، والخصومة، والعداء لنده العربي الجديد الذي ينازعه الحكم حسب تخيلاته.

هناك من معاصري الأمير عبد القادر الذين رفضوا بيعته من علماء غريس خاصة، وتحدث عنهم صاحب كتاب طلع سعد السعود "**قال بعض علماء، وأولياء الله بغريس سبحان الله هذه البيعة لا يستقيم لصاحبها حال، ولا يهنأ له قرار، ومنال، ولا شفقة، ولا رحمة في الأعيان ..، وإنما هو سفاك للدماء، وليس من السادات، والرحماء**"[5].

---

(1) عميرة حميداوي: محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، المرجع السابق، ص51.نقلا عن: **مذكرات أحمد باي**: تر محمد العربي الزبيري، الشركة الوطنية للنشر، والتوزيع، الجزائر،1973، ص80.

(2) ناصر الدين سعيدوني: **الجزائر منطلقات، وآفاق، مقاربات للواقع الجزائري من خلال قضايا، ومفاهيم تاريخية**، د.ط، دار الغرب الإسلامي، 2000م، ص12.

(3)Amini, A : Baylik Constantine et Hadj Ahmed 1831_1837, s. éd, Tunes,1978, p1.

(4) عميرة حميداوي: محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، المرجع السابق، ص51.

(5)الأغا بن عودة المزاري: المصدر السابق، ص106.

أما نظرة المشرفي * فتراوحت بين التأييد، والمعارضة، وهذا راجع لظروف، وامتحانات صعبة مر بها في حياته منذ احتلال الفرنسيين للجزائر. ففي البداية عارضه، ولامه بشدة خاصة في كتابة طرس الأخبار في ما جرى للمسلمين مع الكفار في أواخر القرن الثالث عشر مع الكفار، وفي عتو الحاج عبد القادر، وأهل دائرته الفجار[2]، وفيه يطعن في بيعته، وإمارته، وسياساته تجاه القبائل، ويصفه بالجور، والظلم، والعتو، وبداية منذ 1873 نجده يلين في أحكامه، وأراءه تجاه الأمير، ومقاومته ضد الفرنسيين بل أكثر من ذلك يمدحه، ويثني عليه بكلامه قائلا:"... **فجلس للإمارة، وأعطاها حقها، فتح الأصداف، وجمع الأصناف، وركب الأكتاف، ومنح الأعراف، ونجع الأكتاف، ومرى الخلاف، فلم يدرك من تولى الإمارة شأو هولا قاربه أو حذي حذوه قام بالأمر، واستبد به، هجر اللذات، وأحوال الصبا، والتفنن في الشهوات، وجاهد، وأحسن السيرة، وأمسك، فكانت لديه أسيرة** "[3].وهذا الموقف لجديد للمشرفي، وهو أحد علماء العصر، ونخبته ربما يدل على انه كان مخطأ في حق الأمير بسبب أحوال ظرفية صعبة مر بها كانت من نتائج، وانعكاسات مقاومته.

هناك كتابات اسطوغرافية أخرى عن الأمير لها ما يبرر مواقفها تجاه الأمير عبد القادر، والمتمثلة فيما كتبه الشيخ احمد بن عبد الرحمان الشقراني حيث كان هو الآخر ممن له مواقف مضطربة من الثورات، والمقاومات الشعبية التي عرفتها الجزائر.

* هو العربي بن عبدالقادر بن علي المشرفي، وينتسب إلى أسرة المشارف، تاريخ، ولادته غير محدد، تعلم ببيت عائلته ثم انتقل إلى الكرط لحفظ القرآن ثم انتقل إلى مستغان تعلم على علمائها، وبعدها استقر في وهران ليواصل تعليمه على يد شيوخها له العديد من الكتب، والمؤلفات، توفي رحمه الله فيسنة 1313هـ /1895م.ينظر: عبدالحق شرف: كتابات العربي المشرفي، الجزائري المتوفي 1895، مصدر من مصادر تاريخ الجزائر خلال القرن19، **مجلة افاق للعلوم**، جامعة الجلفة، ع 10، جانفي2018 ، ص 18.

[2] ودان بوغفالة، المرجع السابق، ص 169.

[3]نفس المرجع، ص187.

فهو يعتبر مقاومة بوعمامة عمل شخصي، ليس وراءها إلا الطمع، والسيادة، والرئاسة، ويصفه بالسفه، والجهل، والأغرب انه يدعو إلى الاستسلام للواقع، وانتظار قضاء الله، وقدره [1]، والفارق في الوصف عند الشقراني بين بوعمامة، والأمير عبد القادر، أنه يعتبر هذا الأخير شخصية عظيمة في معرض حديثه عن ثورة أبي حمارة فيقول: "**فزحف له الداهية الكبرى، والمصيبة العظمى العسكري، فريد دهره، وبديع عصره...**"[2].

لكن ما يلفت في هذه الأسطر الأحكام الصادرة منها أن فكرة القضاء، والقدر، والمشائية مسيطرة على عقول أصحابها غلى حد النخاع أي أن عقل بعض النخب المحافظة في ذلك الوقت كانت منقادة بفكرة الغيب، ودورها في تسطير حياة الناس، وننتقي مما كتبه الشقراني ما يلي: "**ثم إن السيد الحاج عبد القادر لما أراد إدبار دولته، وانقضاء دولته صار الفرنسيون يشنون الغارات على المسلمين، ويصكونهم بخيلهم، وأرجلهم المرة بعد المرة** ..."[3] مما يوحي لنا بأن نصفها بكتابات مشائية إن صح التعبير.

كان الأمير حاضرا في كتابات السلاوي الناصري الذي وصفه بالحاج عبد القادر، والمجاهد، لأعداء الدين.

" **فلقد كان الحاج عبد القادر هذا في أول أمره على ما ينبغي المثابرة على الجهاد، والدرء في نحر العدو، ولولا انه انعكس حاله في آخر الأمر، وخلصت الأرض للفرنسيين، والله غالب على أمره**"[4].

---

(1) أحمد بن عبد الرحمان الشقراني الراشدي: **القول الأوسط في أخبار من حل بالمغرب الأوسط**، تحق ناصر الدين سعيدوني، ط2، البصائر للنشر، والتوزيع، الجزائر،2013، ص11.

(2) المصدر السابق، ص26.

(3) المصدر السابق، ص39.

(4) أحمد خالد الناصري: **كتاب الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى**، د.ط، ج9، تحق جعفر الناصري، ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء،1997، ص44.

أما الأغا بن عودة المزاري فيصفه بذي التدبير الحسن، والشجاع الذي حارب بالقلب، والنية الصادقة [1] .

رغم وجود بعض التباين، والاختلاف في وصف الأمير عبد القادر في كتابات معارضيه فإنها تندرج في الموقع الآخر الذي ينسج، ويركب صورة وفق مخيال صانعيها محكومة بعوامل، وظروف نفسية، مذهبية ـ اجتماعية، سياسية في واقع جزائري يشوبه التفاعل، والانفعال بين أهم معطياته، وفواعله.

أما اليوم فجل الكتابات التاريخية الجزائرية تصنف الأمير عبد القادر على أنه قائد، ومحارب، ومجاهد، ومؤسس الدولة الجزائرية الحديثة، وتشيد بإنسانيته غير المسبوقة تجاه المخالفين له في الدين، والعقيدة، وتجاه خصومه من القبائل، والطرق الصوفية.

ب–في الكتابات الفرنسية:

تتموقع صورة الأمير عبد القادر الجزائري في الوعي لفرنسي المشبع بالإيديولوجية الاستعمارية، الذي رسم لها شكل يناسب أطروحة المدرسة الاستعمارية الساعية إلى تشويه، وتزييف الحقائق التاريخية، التي تعتمد معايير تمييزية، انتقائية، إقصائية، ساعية إلى تفكيك الكل، وهو الذات، والوطن إلى أجزاء، ووحدات مختلقة واقعا اثنيا، ودينيا، ومذهبيا، وسوسيولوجيا، وسياسيا في الجزائر تتقاسمه حسب الذهنية الاستعمارية أطراف متضادة، ومتنافرة، ومتصارعة.

فبين المخيال الفرنسي، والواقع الأميري القائم نجد كتابات فرنسية حول شخصية الأمير لها أبعاد مستقبلية خطيرة تتستر وراء شخصيته الإنسانية، والمتسامحة تخطط من خلالها على استعمار الوعي الجزائري، وهو أحطر في نظرنا لأن لو سلمنا فرضا بمفهوم استعمار الأرض فإن الأرض تدمر، وتعمر أو إذا ماتت ستحي أما الشخصية الجزائرية أو مسالة الهوية فإن تم إفراغها من محتواها العربي الإسلامي فإن ذلك أخطر من حد السيف نفسه، وتحتاج وقتا أطول لترميم، وإصلاح ما خربته الأفكار الاستدمارية.

---

[1] الأغا بن عودة المزاري: المصدر السابق، ص108.

يرى أبو القاسم سعدالله أن ما كتبه الفرنسيون بعد 1847 تهدف في الحقيقة إلى إثبات تفوقهم من جهة، وتضخيم أمر الصداقة لفرنسا من جهة ثانية، وهذا لتخدير عقول الجزائريين [1]، هكذا حسب ما يفهم منها أن فرنسا ناورت بحد سيفها، وبحبر أقلامها لنسج مفاهيم، وصناعة صور لشخصيته كإطلاق مصطلح سلطان العرب، وهذا ما تعج به الكتب الفرنسية منذ بداية مقاومته 1832 م سواء عند بيجو أو سانت آرنوأو لاموريسيار أو ديمشال أو غيرهم، وكأن عبد القادر سلطان أو ملك حكم العرب فقط، ولم يكن تحت إمارته الأمازيغ.

ترى تلك الكتابات أن دافعية حرب الأمير كانت تعصبية، ولطالما وصفه جنرالات فرنسا بالمتعصب، ومن طرف بعض المؤرخين الذين لم يفهموا قضية الرجل المحارب لإظهار الأعمال اللاإنسانية [2].وفي ذلك كتب بوجول **M، Poujaula** في سنة 1844 يصف فيها مقاومة الأمير في الجزائر ضد فرنسا بالتعصب[3] ، ويرى الدوق أورولیان **Orléan** "**أن الأمير أثار الحماس الديني بين المسلمين في عموم إفريقيا**"[4].

من خلال التدقيق في هذه الخطابات التي تحمل أوصافا مغرضة، ودفينة تتهم الإسلام بالتعصب، وأن فكرة المقاومة ليست إلا، وليدة تعصب ديني، وبالتالي فكل من يقاوم فرنسا هو متعصب، ومادام الأمير حمل لواء الجهاد فهو تحرك بدافع هذه الفكرة. لكن نجد بعض من كتبوا عن الأمير يصفون حركة الأمير عرضا بالجهاد، وحتى برينو إتيان كان يتحاشى في كتاباته استخدام كلمة الجهاد، واستخدامها عنده كان على لسان قائليها ليس إلا، وفي الحقيقة لا يتورع الفرنسيون عن

---

(1) هنري شارل شرشل: حياة الأمير عبد القادر، المصدر السابق، ص07.

(2) منشورات زكي بوزيد، المرجع السابق، ص48.

(3) Karima Ait Dahmane : **Catégorisation et stéréotypisation de l'altérité dans lediscours de conquète 1830_1847**, In **Insanyat**, n37, juillet_septembre, 2007, Alger, p105.

(4) . Ibid,p106.

وصف حربهم بالجزائر بالحرب الصليبية ذات المهمة الحضارية في الوقت الذي يرون فيه الجهاد عبارة عن تمرد عن فرنسا، وتعصب ديني.

يذهب برينو إتيان أبعد من ذلك فيصف الواقع، والسلطة، والمجتمع في عهد الأمير عبد القادر وصفا لا ينفصم عن المدرسة الاستعمارية لما يحصر الصراع بين المدينة، والبداوة، وبين الحضارة، والبداوة، وبين المرابطين، والقبائل [1].

بعد أن أطلق الأمير سراح بعض الأسرى الفرنسيين بدون شروط اعتبر لامورسيار ذلك بلفتة جميلة من متوحش[2].

ويصف الشاعر فيكتور هيقو **Fictor Mari Hugo** بالرجل العنيف، والخشن، والمجرد من الرحمة، والإنسانية، وكان لهيقو ميل، ونزوع واضح نحو تمديد، وتوسيع الاحتلال الفرنسي في الجزائر، ويعتبره مهمة، ورسالة حضارية [3].

وهكذا فإن الفرنسيين اعتبروا الأمير عدو، وجاهل، ومتوحش يجب القضاء عليه، ومن خلال تفسير مبررات هذه الأوصاف لدى هؤلاء نجدها امتداد لنظرة التعالي، والفوقية للرجل الأبيض المصدر للحضارة، والتمدن لبلاد الهمج، والبربرية، وصرح فيرو قائلا: "**يجب أن نكون اقل بربرية من هؤلاء المتوحشين، لا يجب تعليمهم بل يجب تدميرهم**"[4].

يتبين من كل ما سبق أن الآخر الفرنسي نسخة من الآخر الأوربي عبر عن سلبية النفسية الغربية المحشوة بالحقد، والكراهية تجاه كل ما هو عربي، وإسلامي، وماقتا الموقف الفرسي مخلصا لموروثه الديني الكنسي المتحكم في إيديولوجياته، وسلوكاته، ومواقفه تجاه المخالفين لهم في الدين، والعقيدة .

---

(1) برينو إتيان: المرجع السابق، ص158.

(2) منشورات أبو زيد: المرجع السابق، ص51.

(3) Mohamed Besnaci: L'image de l'Emir Abdelkader chez les auteurs français, in **Ruvue**,**n22**, Université Lumière, Lyon, p19.

(4)Arima Ait Dahmane, op. Cit, p106. .

إلا أننا لا ننكر إيجابية الأخر لما راح يظهر الأمير في صورته الإنسانية، إلا أن هذا الموقف أحيانا لم يكن بريئا، وكان بمثابة عسل في وسطه سم، وكان لابد من هذا الاعتراف الذي فرض نفسه بتلقائية نظرا لاستثنائية الخصم الذي كان محاربا، ومسالما في نفس الوقت، وهو ما أثار الإعجاب، والمدح لدى العدو رغم العلاقات العدائية .

كتب الماريشال سولت سنة 1843بأن العالم لا يعرف اليوم إلا ثلاث شخصيات وقفت بشكل عادل يستحق وصف العظماء، وهي: عبد القادر بن محي الدين، ومحمد علي، والإمام شاميل[1]، أما دوماس فقد عبر عن إعجابه بشخصية الأمير قائلا: "**عبد القادر رجل الظروف، منتخب من الشعب، أوقف الفوضى بعدن اثبت في كل مرة بدهائه عن قوته، وشجاعته**"[2]. . قد جاء على لسان كلوزال حسب ما ذكر يوهانت كارل بيرنت في كتابه السابق الذكر أنه وصف الأمير بالشجاعة، والدراية بفنون الحرب بعد حملته على معسكر[3].

إن المجرم بوجو الذي عين حاكما عاما على الجزائر في ديسمبر1840مالذي كلف بتحقيق برنامج شديد البساطة:" **كن سيدا في كل مكان، ولا فلن تكون في أمان في كل مكان**"[4] عرف بسياسة الأرض المحروقة يشبهه في مراسلات بالمسيح، وأنه من مرتبة الأنبياء، وأمل كل المسلمين الأتقياء[5].رغم انه يعترف بصعوبة القضاء عليه، وأنه لابد من عمل سحري للرد على حركته. فكل هذه الأوصاف كانت تطلق في ظل جو يسوده الحرب الشاملة التي كان من دعاتها المتطرف في

---

[1]Alex Bellemar, op. Cit, P06.

[2] . Dumas,op. Cit,p307.

[3] يوهان كارل بيرنت، المصدر السابق، ص70.

[4]جاك فريمو: **فرنسا، والإسلام من نابليون إلى ميتيران**، تر هاشم صالح، ط1، شركة الأرض للنشر،1991، قبرص، ص63.

[5] Abdelaziz Farah: **le temps d'une halte**,**recontre avec l'Emir Abdelkader** ، **s**. éd، p29.

مواقفه توكتفيل**Tocqueville**[1]، وسيكون للأمير موعد مع الشهرة، والصيت بعد خطفه، وسجنه في فرنسا ليستقطب اهتمام العدو، والصديق ن القريب، والبعيد، وخاصة بعد الدور البطولي الذي أداه في واد الفتنة بين أهالي الشام سنة 1860م.

يتناول أوجين دوسيفري في كتابه نابليون الثالث، وعبد القادر قائلا:"**كل صفاته تعطيه رونقا يعجز اللسان عن وصفه توحي بالهيبة، والمودة...**"[2].

لم تهمل القواميس الفرنسة من ذكر، وتخليد الأمير بين طيات صفحاتها مثل :

Le petit larousse illustre الذي وصف الأمير بالمحارب، والشجاع، والمنتصر و:

Dictionnaire des orientaliste de langue française

يظهر فيه الأمير بشكل فريد كقائد مقاومة للاحتلال، والمسلم، ورجل الحوار، أما قاموس **Le grand larousse encyclopédique** فيرى أن فرنسا هي من سمحت للأمير ببناء قوته، وإبقاء سلطته على القبائل، ونفس الرؤية يحملها **Dictionnaire général de bioghraphie et l'hstoire** ، وذلك أن الفرنسيين ساعدوا الأمير في تثبيت سلطته على ثلثي الجزائر.[3]

من خلال كل هذه الكتابات الفرنسية طغت على السطح النزعة الإنسانية على وصف شخصية الأمير عبد القادر ب عد1847 م إلا أن هناك من حاول ربطها بتأثير التيارات الغربية التي ظهرت في أوروبا جاحدا خصائص أبعاد الإسلام الذي كله خلق، حتى يروج لصورة نمطية عن الشخصية الجزائرية، ويفصلها عن منابعها الإسلامية السمحة.

---

(1) .Timothy Mason Roberts: the role of French Algeria in American expansion duringthe early republic,**the journal of the western society for french history**,s. d ،p164. .

(2) منشورات زكي بوزيد، المرجع الساب قنص54.

(3) Ahamed Besnaci : op. Cit. p. P7_9 .

إن ريح الأمير العطرة التي هبت ما بين جبال، وهضاب، ووديان معسكر، والجزائر تخطت حددوها لتزعزع ضمائر العالم. فكيف احتفت به شعوب، وساسة العالم اليوم نظير أدواره، ومساهماته الإيجابية في تاريخ الإنسانية؟

ج– شواهد على عالمية الأمير عبد القادر اليوم:

حق للعالم اليوم أن يفتخر بهذه الشخصية السمحة التي انفردت بأخلاقها الإسلامية، ونوازعها الإنسانية، وروحها الخيرة، طوال حياتها التي قارعت فيها بسيفها، وقلمها الشر أينما كان، ومتى ظهرت متحررة من كل النوازع الإنسانية التي سبق، وإن خلفت الآلام، والويلات للبشرية عبر التاريخ.

مازال العالم اليوم يكن الاحترام، ويلقي بالثناء، والاعتراف على الشخصية الجزائرية، نظير رأفتها، ورحمتها على أعدائها خلال مقاومتها لعدوانيهم، وظلمهم، حتى بعد غدرهم به، وسجنه قسرا في فرنسا، وفي منفاه في بلاد الشام، حيث انطلاق شعاع سماحته، وإنسانيته غربا، وشرقا، وشمالا، وجنوبا لينحني له العالم إجلال، وتكريما.

إن السمعة التي اكتسبها خلال جهاده عند إخوانه في الشام مهدت له طريقا نحو أفاق بعيدة، قد صدرت عنه عدة دراسات، ومقالات صحفية خاصة بعد إخماد نار الفتنة بين أهالي الشام1860م[1]، وتلقى على إثرها الأوسمة، والنياشين، والهدايا الثمينة، ورسائل الشكر، والثناء من قادة، ودول العالم، مسلمين، وغير مسلمين.

طارت شهرة الأمير في العالم الجديد إلى درجة إطلاق الأمريكيين اسم ألكادير **Elkader** على منطقة تقع في شمال إيوا **Iowa**، سنة 1846في الولايات المتحدة مازالت إلى اليوم تخلد اسمه تعظيما له [2]، وقد ربطت مع مدينة معسكر اليوم توأمة في أطار تبادل العلاقات بينهما، وإحياء أفكار الأمير التي تدعو للتسامح، والتعايش بين الشعوب، والأديان.

---

[1] هنري شارل شرشل: حياة الأمير عبد القادر، المصدر السابق، ص26.

[2] مخبر البحوث الاجتماعية، والإنسانية: الأمير عبد القادر عبقرية في الزمان، والمكان، المرجع السابق نص69.

هناك عدو مؤسسات، واطراف في الولايات المتحدة تشجع على إحياء فكر الأمير عبد القادر كرمز للسلام، والتسامح في العالم، ولمحاربة التطرف، والتشدد تحمل الأمير عبد القادر حيث اختارت مؤسسة الأمير عبد القادر للتربية في مدينة ألكادير معالجة مسائل التشدد مخصصة عدة جوائز للفائزين فيها سنويا من الطلاب، وقد صرحت رئيسة المؤسسة كاثير غارمز حول التشدد اليوم، ومحاربته ما يلي: "**لوكان الأمير بيننا لما سمح بذلك** "[1]وهدفها من مبادرتها هوا إعداد الطلاب الأمريكيين للمستقبل لنقاشات أعمق حول كيفية الفهم الصحيح للإسلام الذي كان يتبناه الأمير.

في إطار تشجيع ثقافة التعايش، والسلم خصصت عدة جوائز باسم الأمير عبد القادر قامت الجمعية الصوفية العلاوية **Aisa**، والمنظمة الدولية غير الحكومية، والمؤسسة المتوسطية للتنمية المستدامة، وبرنامج ميد **Med21** بإنشاء جائزة الأمير عبد القادر* تمنح هذه الجائزة لأشخاص عاديين أو معنويين من ضفتي المتوسط، ومن باقي دول العالم من الذين ساهموا بطريقة فعالة في الدفاع عن التعايش السلمي بين الشعوب، والأديان، والأفراد.

إضافة إلى ذلك تم تدشين منبر اليونسكو، والأمير عبد القادر من أجل حقوق الإنسان وثقافة السلام، والذي أنشأ بموجب الاتفاقية المبرمة ب تاريخ15 جوان 2016م بين رئيس جامعة الجزائر1، والمديرة العامة لمنظمة الأمم المتحدة للتربية، والثقافة، والعلم[2] تكريما للأمير عبد القادر لمساهمته في ترقية حقوق الإنسان.

---

[1] Ttp ://noqta.info/page_113855_ar.html,1/12/2017.

* أقيم حفل تسليم الجائزة يوم الأربعاء21 سبتمبر2016بمقر مؤسسة جنة العارف بمستغانم بحضور شخصيات وطنية، ودولية في إطار الاحتفال باليوم العالمي للسلام. ينظر: البيان الصحفي المنشور على موقع جنة العارف :
www.djanatualarifi.net.

[2] وحدة بحث الأمير عبد القادر لحقوق الإنسان وثقافة السلام: سلسلة ندوات علمية في حقوق الإنسان وثقافة السلام، جامعة الجزائر،2016.

هذا إضافة للملتقيات، والمؤتمرات التي تنعقد في أوروبا، وأمريكا للإشادة بمدى مساهمة الأمير في إثراء، وتفعيل القانون الدولي الإنساني[1]، واعتباره قنطرة، وجسرا للتواصل بين الغرب، والشرق باعتباره معلِما قدم دروسا في الحوار[2] .

وجد الأمير محله اليوم في المجلات، والجرائد العالمية التي مازالت تخلد اسمه في عناوينها العريضة في زمن تعصبت فيه النفس البشرية، وامتلأت بكل ألوان الضغينة، والكراهية مما اصبح ينذر بتهديد أمن، وسلام العالم في غياب ضمائر يهدي تستطيع إرساء قواعد متينة، ومحكمة على أرضية خصبة بالتعايش، والتعاطف، والتعاون، والتضامن، ومن بين هذه الجرائد العالمية التي نوهت بشخصية، وفكر الأمير عبد القادر، جريدة الأندبندنت البريطانية **Independent** حيث عنونت قائلة :"**يجب أن ننظر إلى الماضي لنكتشف الإسلام الحقيقي، وحسب تعبيرها أن الأمير يمثل هذا الدين الصافي، وذكرته بالرجل الصوفي، والإنساني حامي المسيحية، والمسيحين، ورجل النهضة الإسلامية الذي يجب أن نعتبر منه**"[3]، وهذا دليل على بعدها العالمي، والإقليمي، والوطني، ولا يفوتنا أن نستشهد بالأسماء التي أطلقت على الأحياء، والمؤسسات داخل الوطن، وخارجه على الأمير عبد القادر عرفانا لخدماته للإنسانية التي مازالت تحيي ذكراه من حين لآخر.

---

(1) . Abou' Elkacim Delal: Le **comportement humanitaire de l'Emire de Abdelkader et naissance du droit international humanitaire**. Cours, l'Enssep, Alger, p164.

(2) Ahmed Bouyrdèn : **l'Amir Abdelkader et l'occident**, leçon d'un dialoque des civilisationd'hier aujourdh'hui, colloque acadiémique, centre D'archive, Montréal,11, nouvembre.

(3)http:/www.independent.co.uk/voice/manchester_attak_muslim_islam_true_meaning_a7754901.html./13/03/2018,15. h .15 :20.

استنتاج:

في ختام هذا الفصل نخلص إلى أن الأمير عبد القادر استطاع أن يصيغ بأفكاره، وقلمه، وسيفه واقعا له خصائصه، ومميزاته:

ـ تمكن من خلاله المزاوجة بين، وحشية الحرب، وأخلاق الإسلام.

ـ غلبة روحانيته الصوفية، وتدينه الكبير على مواقفه، وآرائه، ومعاملاته.

ـ مساهمته في صياغة، وإثراء القانون الدولي الإنساني، وهذا ما أشاد به الحقوقيون، والقانونيون، ونشطاء في ميدان حقوق الإنسان من مختلف أصقاع العالم تأكيد ا على دوره في حماية الروح الإنسانية.

ـ حماية حقوق الإنسان، وحفظ كرامته وعدم تعديا لحدود التي رسمها الإسلام في مقاتلة العدو في وقت الحرب أو في معاملته في وقت السلم.

ـ التوظيف الصحيح للإسلام الداعي إلى محاورة الأخرين بالتي هي أحسن، وبفطنته، وذكائه تمكن من كسب عناصر قوة في حواره، ونقاشه، ومراسلاته مع العدو.

ـ خروجه من دائرة التزمت الديني، وانفتاحه على الأخر، ونبذ كراهيته، والدعوة للاستفادة من تجاربه، وخبراته الحضارية.

ـ إنحاء الأقلام في العالم لبطولات الأمير الإنسانية، واعتباره نموذج الإنسان المسلم الذي شرف العرب، والإسلام، وأعطى صورة إيجابية عن القيم، والمبادئ الإسلامية.

الخاتمة

خاتمة

في ختام هذه الدراسة التاريخية للأمير عبد القادر التي ركزت على البعد الإنساني لشخصيته من خلال مجموعة مصادر، ومراجع بهدف، وضعها في إطار المناسب في عالم يشهد اليوم مزيدا من نزوع النفس البشرية للحرب، والاعتداء، في وقت توحشت فيه المادة، والعلم، وغابت فيه الروح مما يستدعي ذلك إلى إبراز الدور الجزائري عبر التاريخ في صناعة السلم، والصلح، ونبذ الحرب، والعنف في العلاقات بين أفراد الأمة أو بين الأمم، والشعوب.

جسد الأمير عبد القادر الشخصية الجزائرية المسالمة، وهذا من خلال الأخذ بمجموعة من المبادئ المستوحاة من ديننا الحنيف الذي كرم الإنسان من فوق سبع سنوات، وتقديس روحه، واعتباره خليفة الله في الأرض، ومن هذه المبادئ: المعاملة الحسنة ـ حسن الجوار ـ تفضيل السلم، والصلح على الحرب ـ تغليب مصلحة الأمة على الفرد، ومصلحة العالم على الدولة ـ احترام الأخر ـ الاعتدال في المواقف، والأثراء ـ واقعية السلوك السياسي، والدبلوماسي للأمير.

إن ظهور هذه الشخصية الوطنية جسدت العبقرية الجزائرية في ثلاثينات القرن التاسع عشر أمام إمبراطورية عسكرية مترامية الأطراف مدفوعة بشهوة السيطرة، وتلبية الطمع الإمبريالي على حساب مقدرات، وحقوق الشعوب الضعيفة، هذه العبقرية الشابة، والطموحة التي تفقت فجأة في وجه خدام الكنيسة، والإمبريالية، أعطت دروسا في كيفية الحافظ على النفس في وقت الحرب، والمقدرة على صياغة السلام، والأمن بعيدا عن قرع السيوف، وسفك الدماء.

إن النموذج الأميري يصلح لكل زمان، ومكان، والتأكيد على حتمية، وخيار تفضيل المصالح العامة على المصالح الضيقة، أي أن رسائل الأمير في الحرب، والسلم لم تكن محلية بل صيغت بطريقة بإمكان كل الشعوب، والأمم تلقفها، وتوظيفها في الحياة خاصة مع تصاعد موجات العنف، والكراهية ضد الإسلام، وهذا بسبب المغالطات، والأكاذيب التي نسجت حول الإنسان المسلم مما ركب صورة سوداوية في ذهن الأخر.

إن دراسة تاريخ هذه الشخصية بحاجة ماسة إلى أقلام نزيهة، وموضوعية تنصفها بعد سلسلة من الاتهامات بعد سلسلة من الاتهامات التي حفلت بها بطون الكتب بعد، وفاتها 1883، وهذه مسؤولية المؤرخين الجزائريين الذين يجب عليهم حمل لواء الكتابة التاريخية عن الأمير عبد القادر من خلال الاعتماد على المصادر، والوثائق التاريخية.

للرد على بعض الاتهامات ضد من يسودون صورة الأميرة على صفحات الكتب، وفي المنتديات الإلكترونية نؤكد على ما يلي:

إن لجوء الأمير عبد القادر للعنف في أحيانا كثيرة في معاملاته ضد القوى السياسية، والدينية المحلية كان تستوجبه الظروف، والعوامل لتوحيد كلمة الأمة على الجهاد، والقضاء على أي تعاون مع العدو الفرنسي، وخاصة أن الأمير على اطلاع، ودراية بطبائع العرب، والتي منها التمرد، والخذلان، ومناصرة العدو أحيانا للحفاظ فقط على امتيازاته، ومصالحها الخاصة مما فرض على قائد الدولة الفتية تأديبها بالقوة.

لتذكير من يتطاولون باللسان، والقلم على شخصية الأمير أن أمر جهاده كان قائما، ومرتكزا على قاعدة المبايعة، وهذا يعني أن الأمة خولته أمرها على الطاعة، والنصرة وعدم الخضوع، والاستكانة للفرنسيين تحت أي ظرف كان، مما خول الأمير استخدام سلطته بصفته أميرا على الأمة، والجهاد.

مما يبرز الشخصية الإسلامية في الأمير، ومدى تدينها هو إلحاحه في عدة مرات عن التنازل للإمارة لسلطان المغرب، ومبايعته، وهذا دليل كاف على عدم تلهف الأمير وراء القاب السلطنة، والملك.

رد الأباطيل في حق الأمير التي انتقدته بداع ضعف شخصيته، وهذا لكونه كان متساهلا مع العدو لأقصى حدود، ولا ننسى أن النبي صلى الله عليه، وسلم، وهو خير ما أنجبت الأمة الإسلامية كان يدعو إلى خلق السلام ، وتجنب سفك الدماء، ومراعاة حدود الله وعدم التشدد، والتهور وقت الحرب، ولنا في سيرته خير زاد، للاعتبار لذلك كان الأمير يعتبر من سيرة نبيه صلى الله عليه، وسلم،

وقد يكون استعانته بالأوربيين في بناء دولته، وجيشه نقطة ضعف حسب هؤلاء إلا أن الأمير حاول الاستفادة منهم في مجالات كثيرة، والغدر، والخيانة طبيعة الفرنسيين، والأوربيين.

عدم انخراط الأمير في أي تيار فكري أو فلسفي أو سياسي فرنسي أو أوربي أو غربي ، ومهما كانت شعارات هذا التيار أو ذلك، ولم يتأثر بها، ولم تكن له من قريب أو بعيد أي علاقة، ولا بطاقة انخراط ، وكل ما قيل عنه افتراء، وكذب، وبهتان جمع من قصاصات، ورق، وجرائد، ولفق للأمير عبدالقادر، والأغرب هو اتهامه بعد، وفاته، وليس قبلها مما يطرح اكثر من علامة استفهام حول الغاية من طرح مسائل مشبوهة حول هذه الشخصية إن إنسانية الأمير عبد القادر لم يصنعها أي مذهب ديني أو فكري أجنبي حسب ما يروج له البعض خاصة الفرنسيين، وإنما كانت حصيلة تربية، ونشأة، وتكوين الأمير على مبادئ، وقيم، وأخلاق السلام .

إن الذين يثبتون صداقة الأمير عبد القادر لفرنسا مستغلين طيبته، وشهامته، وعطفه، وكرمه ينطلقون من خلفيات غير بريئة على أساس أنه بطريقة أخرى تخلى عن الجهاد، وأصبح من زمرة فرنسا يتقاضى أجرا، وعاهدها على توقيف الحرب ضدها، مما يدعونا لتنبيه كل من يقرء عن تاريخ الأمير توخي الحذر في مثل هذه الأطروحات المغرضة الساعية إلى تشويه تاريخ، وسمعة الأمير عبد القادر.

ما يتعرض له الأمير عبد القادر ليس إلا من قبيل كما قال شيخ المؤرخين الجزائريين أن الجزائريين مجبولين على طبيعة تقزيم أبطالهم لا تعظيمهم عكس الأخرين الذين يسعون إلى تمجيد، وتعظيم شخصياتهم التاريخية، لذلك على الأجيال الحالية، والصاعدة الكف عن ظاهرة التخوين، والتحقير، والتقزيم لأبطالها الذي صنعوا التاريخ، وبنوا أمجاد الأمة الجزائرية على مر عصورها.

من البديهي، والطبيعي اعتبار الأمير عبد القادر رائد من رواد الإنسانية على مستوى الجزائر، والمغرب العربي، والعالم، وهو جدير بأن يحفر اسمه ضمن أولئك الرواد الذي كرموا الإنسان، ورفعوا منزلته في الكتابات ودعوا إلى تحريره من الجهل.

ظهور الأمير كأحد تجليات الاعتدال الديني، والفكري الجزائري وطنيا، وعالميا، ونموذج لحقيق الاحتفاء به سواء من طرف العالم الإسلامي أو العالم المسيحي.

كان الأمير عقلانيا في أفكاره، وكتاباته، ويتجلى في مجموع ما كتب من مؤلفات الشاهدة رغم كونه من اتباع طريقة صوفية مشهورة ذائعة الصيت، وهي الطريقة القادرية، تمكن من التوفيق بين روحانية الطريقة، وعقلانية التفكير، والسلوك.

الرؤية الاستشرافية للأمير عبد القادر في مقارعته للعدو الفرنسي أو في محاربته للفتنة، والعنف الممارس باسم الإسلام جنب العالمين الإسلامي، والمسيحي تراكمات خطيرة كانت ستشحن عواطف الطرفين بالأحقاد، والضغائن في بلاد الشام اليوم.

بتميزه الفكري، وعبقرتيه العسكرية، ودهائه السياسي، والدبلوماسي و بواقعيته، وعقلا نيته، وموضوعيته غير حركة، ووجهة التاريخ.

الملاحق

الملحق رقم 01:، وثيقة تاريخية تثبت شجرة النسب الشريف لعائلة الأمير عبد القادر[1]

هو فرع الشجرة الزكية وبدر تعصا به الحسينية وانسان عين السادة الاخيار وعقد جيد القادة الابرار صدر الشريعة بل تاجها بدر الحقيقة بل معراجها . نخبة آلبيت اشتهرت بالشرف اوائلهم واواخرهم واشرقت في افق سماء السادة فضائلهم ومفاخرهم من عجزت عن حصر اوصافه الاقلام وتباهت بوجوده الليالي والايام تزينت الطروس بغرر مزياه ومدائحه وتلت النفوس ايات الحمد والاخلاص في صحائفه واسطة عقد الشرف المقتنى وغصن شجرة المجد المجتبى كعبة القاصدين حرم الخائفين ناصر الدين الامير عبدالقادر بن محي الدين بن مصطفى بن محمد بن المختار بن عبدالقادر بن احمد المختار بن عبدالقادر بن خدة. ابن احمد بن محمد بن عبد القوي بن علي بن احمد بن عبد القوي ابن خالد ن يوسف بن احمد بن بشار بن احمد بن محمد بن مسعود. ابن طاووس بن يعقوب بن عبدالقوي بن احمد بن محمد بن ادريس. ابن ادريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط .ابن فاطمة الزهراء .خيرالانام عليه افضل وأكمل السلام.ولد قدس الله سره في رجب سنة الف ومائتين واثنين وعشرين ببلدة القيطنة التي اختطها جده بإيالة وهران من اعمال الجزائر ثان نجل والده ووالدته السيدة الزهراء بنت السيد عبدالقادر بن دوحة الحسيني تربى في حجر والده وفي مدرسته حفظ القرآن وأخذ العلم عن أهل العرفان وفي سنة ماتين وست وثلاثين سافرالى وهران وحصل حتى برع في كافة الفنون وكمل وفي سنة مائتين واحدى واربعون سافر منها برا صحبة والده ذي الكمال والعلوم الباهرة قاصدين مكة المكرمة عن طريق القاهرة وبغداد.

صورة لصفحة مخطوط ديوان نزهة الخاطر.

---

[1] أبو القاسم سعد الله: أبحاث، وآراء في تاريخ الجزائر، ج2، المرجع السابق، ص 10. نقلا عن: مخطوط نزهة الخاطر في قريض المير عبد القادر.

ملحق رقم 02: جدول يبين المقاطعات الإدارية التي أسسها الأمير عبد القادر بداية من سنة

- التقسيم الإداري لدولة الأمير عبد القادر[8]

المقـــاطعـة	الخليـــفة
معسكر العاصمة الأولى ولاحقا: تاقدامت - الزمالة	- محمد بن فريحة المهاجي ثم خلفه - الحاج مصطفى بن أحمد التهامي
تلمســان	- محمد البوحميدي الولهاصي
مليــانة	- محي الدين بن علال القليعي ثم خلفه - محمد بن علال
التيـطري (المديـة)	- محمد بن محي الديـن ثم خلفه - محمد البركـانـي
مجـانـة (سطيـف)	- محمد بن عبد الســلام ثم خلفه - محمد بن الخـروبـي ومن بعده - محمد بن عمـر العيسـاوي
الصحـراء الغربيـة (الأغـواط)	- الحـاج العربي بن الحاج عيسى ثم خلفه - قدور بن عبد البـاقـي
بـرج حمـزة (جرجـرة (البويرة))	- أحمـد الطيب بن سـالـم
الزيبــان (بسكــرة)	- فرحـات بن سعيـد ثم خلفه - بن عـزوز، ثم خلفه - محمد الصغـير بن عبد الرحمـان بن أحمـد بن الحـاج

(1) إبراهيم مياسي: روح الأمير عبد القادر عبر المقاومة الجزائرية، المرجع السابق، ص **24**.

ملحق رقم 03: رسالة من الأمير عبد القادر إلى الجنرال ديميشال.[1]

الرسالة 15

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وءاله وصحبه

من أمير المؤمنين مولانا السيد الحاج عبد القادر بن محي الدين نصره الله ءامين إلى رئيس الجنود الفرنصوية وعظيم الأساقفة الرهبانية، غاية الأمل والمنى ومحل القصد والهنا جنيرال وهران دي ميشيل، عامله الله بما يناسب مقامه من كل جميل، السلام على من اتبع من الحق أرشد السبيل ورحمة الله وبركاته وبعد. فإنا نود من محبتك وحسن ودادك ووفاء نيتك ومرادك إنك لا زلت تكرر الاحسان إلينا في كل وقت وحيز، جزاك الله بما أنت أهله وقد بلغنا جميع ما بعثت به من المكاحل والكر والقناطر البارودية والكرسي[1] وغير ذلك مع محبنا القايد الميلود، واثنى عليك كثيرا، ومدحك بكل وصف جميل وبين لك محبتك فينا ورغبتك في جانبنا وشفقتك علينا وسياستك، وتمام عقلك الوافر، والزيادة منك أنا في الاحتياج لثلاثمائة من الكور[2] على حسب القيس الذي بعثنا به كما هي عادتك في الرفق بنا والتعطف علينا، وفي 13 ذي الحجة الحرام من 1249 [3] بأمر مولانا نصره الله ءامين.

1 –لا شك أنه يتكلم عن الكمية السابقة في الرسالة المؤرخة بيوم 20 أفريل1834.

2 -لا ندري إذا كان الجنرال دي ميشيل قد لبى هذه المرة رغبة الأمير إذ أن الرسائل اللاحقة لا تشير بالمرة إلى هذا الموضوع، كما لا يشير اليه دي ميشيل في كتابه.

3 -الموافق ليوم 23 أفريل1834.

(1) عبد الحميد زوزو: مراسلات الأمير عبد القادر مع الجنرال ديمشيل، ووثائق خاصة بتاريخ الجزائر في عهد الأمير، المصدر السابق، ص 84.

ملحق رقم 04: رسالة الأمير عبد القادر إلى الأسقف بافي.[1]

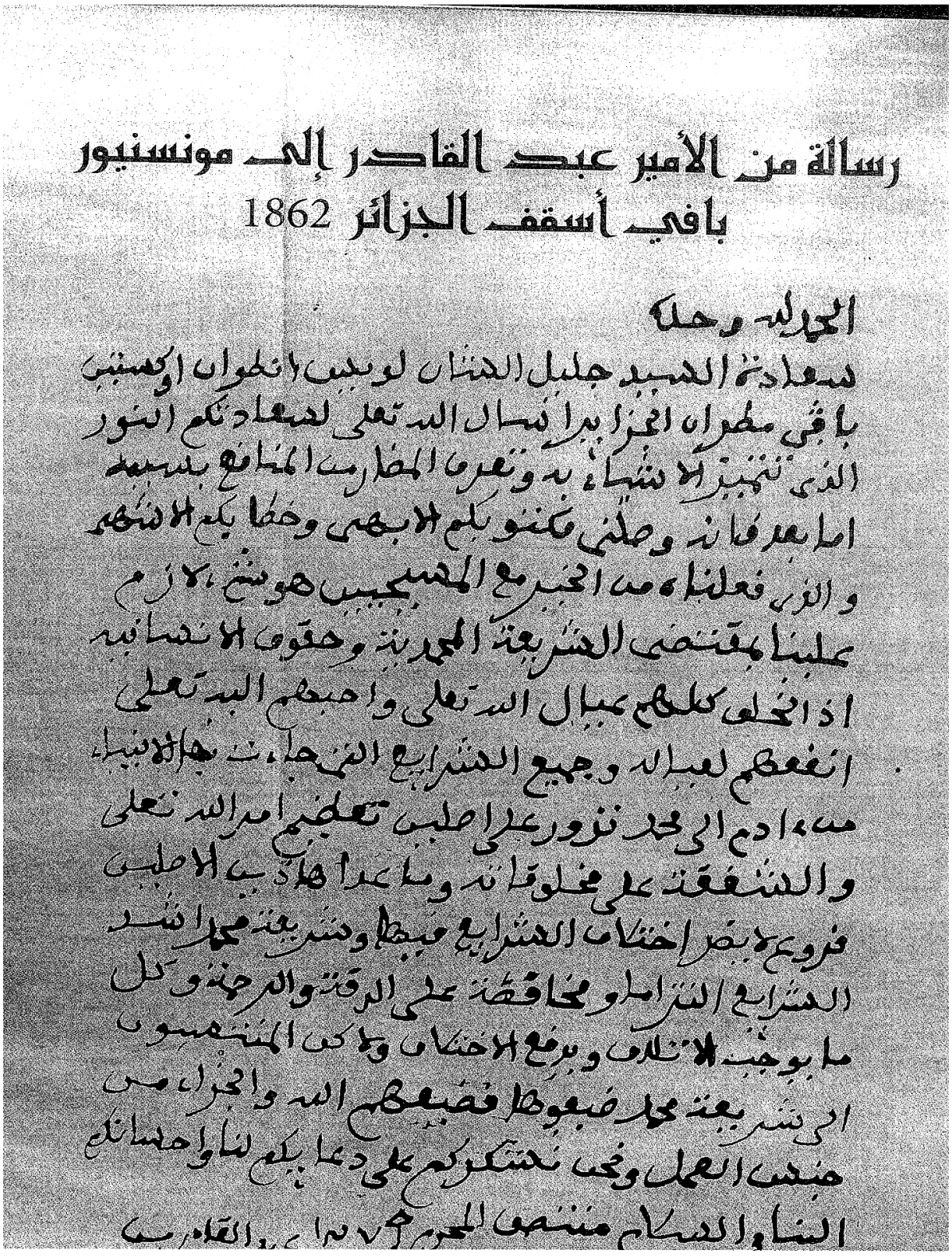

رسالة من الأمير عبد القادر إلى مونسنيور
بافي أسقف الجزائر 1862

الحمد لله وحده
سعادة السيد جليل الشأن لويس انطوان اوكسنيس
بافي مطران الجزائر سلام الله تعالى لسعادتكم النور
الذي تتميز به الأشياء ونعرف المضار من المنافع بسببه
اما بعد فانه وصلني مكتوبكم الأبهى وخطابكم الأنهى
والذي فعلتموه من الخير مع المسجونين هو شيء لازم
علينا بمقتضى الشريعة المحمدية وحقوق الانسانية
اذ الخلق كلهم عيال الله تعالى واحبهم الله تعالى
انفعهم لعياله وجميع الشرايع التي جاءت بها الانبياء
من آدم الى محمد نزور على اطلب تعليم امر الله تعالى
والشفقة على مخلوقاته وما عدا هذا يذهب الاطلب
فروع لا يضر اختلاف الشرايع فيها وشريعة محمد الله
الشرايع الكل املو محافظة على الرقة والرحمة وكل
ما يوجب الائتلاف ويرفع الاختلاف ولا كن المنتسبون
الى شريعة محمد ضيعوها فضيعهم الله واخزل من
حبس العمل ونحن نشكركم على دعايكم لنا واحسانكم
السلام منتصف المحرم [illegible]

[1] منشورات زكي بو زيد: المرجع السابق، ص 159.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع:

1- باللغة العربية:

- **القرآن الكريم**

1.1.**المصادر:**

1)ابن عودة المزاري الأغا: **طلوع سعد السعود في أخبار وهران، والجزائر، وإسبانيا، وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر**، تحقيق، ودراسة يحي بوعزيز، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1990.

2)أحمد بن عبد الرحمان الشقراني الراشدي: **القول الأوسط في أخبار من حل بالمغرب الأوسط** تحق ناصر الدين سعيدوني، ط2، البصائر للنشر، والتوزيع، الجزائر،2013.

3)أحمد خالد الناصري: **كتاب الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى**، د.ط، ج9، تحق جعفر الناصري، **ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء،1997**.

4)الأمير عبد القادر الجزائري: **المواقف الروحية، والفيوضات السبوحية**، ج1 د.ط، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

5)ـــــــــــــــــ: **ديوان الشاعر الأمير عبد القادر الجزائري 1807 . 1883م**، جمع، وتحق، وشرح، وتقديم، العربي دحو، ط3، منشورات ثالة،2007.

6)ـــــــــــــــــ: **ذكرى العاقل، وتنبيه الغافل**، بروسة ،1858.

7)ـــــــــــــــــ: **مخطوط حسام الدين لقطع شبه المرتدين**.

8)الأمير محمد ابن عبد القادر الجزائري: **تحفة الزائر**، جزئين، د.ط. المطبعة التجارية، غرزوزي، وجاويش، الإسكندرية د ت.

9)بن التهامي الحاج مصطفى: سيرة **الأمير عبد القادر وجهاده**، تحقيق يحي بوعزيز، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1995.

10) بيربروجير أدريان: **مع الأمير عبد القادر رحلة وفد فرنسي لمقابلة الأمير في البويرة 1837. 1838**، تر، وتعليق أبو القاسم سعد الله، منشورات المركز الوطني للدراسات، والبحث في الحركة الوطنية، وثرة أول نوفمبر1954، د.ط ،2006.

11) بيرنت يوهان كارل: **الأمير عبد القادر**، تر أبو العيد دودو، د.ط، دار، هومه، الجزائر، 2012.

12) التسولي: **أجوبة التسولي عن مسائل الأمير عبد القادر في الجهاد** تحق عبد اللطيف أحمد الشيخ محمد صالح، ط1، دار الغرب الإسلامي، الجزائر،1996.

13) زوزو عبد الحميد: **مراسلات الأمير عبد القادر مع الجنرال ديمشيل**، ووثائق خاصة بتاريخ الجزائر في عهد الأمير، ط5، دار هومه، الجزائر، 2012.

14) مؤلف مجهول: و**شاح الكتايب، وزينة الجيش المحمدي الغالب**، د.ط، د.ت.

15) شرشل هنري شارل: **بين الدروز، والموارنة**، تر أفندي الشعار، د.ط، دار المروج ،1984.

16) ـــــــــــ: حياة **الأمير عبد القادر**، تر، وتحقيق أبو القاسم سعد الله، ط1، مطبعة الدار لتونسية للنشر، 1974.

2.1. المراجع:

1) أباضة نزار: **الأمير عبد القادر الجزائري العالم المجاهد**، دار الفكر المعاصر ط1، دمشق، 1994.

2) ابن خلدون عبد الرحمان: **المقدمة**، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت،2000

3) اتين برونو: **الأمير عبد القادر الجزائري**، تر، ميشيل خوري، ط1 ،1997 م، دار عطية للنشر د.ت.

4) اجيرون شارل روبير: **تاريخ الجزائر المعاصرة**، تر عيسى عصفور، ط1، منشورات عبيدات 1982.

5) الأعرج، واسيني: **كتاب الأمير**، ط2، دار الآداب، بيروت،2008.

6)الأميرة بديعة الحسني الجزائري: **الأمير عبد القادر الجزائري حياته، وفكره**، تر أبو القاسم سعدالله ج3 ط1، دار الوعي للنشر، والتوزيع، الجزائر،2012

7)بابل للدراسات الإنسانية، المجلد 5، العدد 2.

8)بدوي عبد الرحمان: **فلسفة العصور الوسطى، ط3**، وكالة المطبوعات، الكويت، 1979.

9)بروكلمان كارل: **تاريخ الشعوب الإسلامية**، نقلها إلى العربية، نبيه أمين فارس، منير البعلبكي ط5، دار العلم للملايين،1968.

10)بسايح . بوعلام: **أعلام المقاومة الجزائرية ضد الاحتلال الفرنسي**، بالسيف، والقلم،1830. 1954، د.ط، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر ،2007.

11) بوداود عبيد: **معسكر المجتمع، والدولة**، د.ط، مخبر البحوث الاجتماعية، و التاريخية، دار الرشاد للطباعة، والنشر،2014من2014.

12)بوعزيز يحي: **الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري**، ط2، الدار العربية للكتاب، الشركة الوطنية للنشر، والتوزيع،1983.

13) **بوغفالة ودان**: الأمير عبد القادر عبقرية في الزمان، والمكان، **منشورات مخبر البحوث الاجتماعية، والتاريخية، مكتبة الرشاد للطباعة النشر، الجزائر ,2014** .

14) التويجري عبد العزيز بن عثمان: **الكرامة الإنسانية في ضوء المبادئ الإسلامية**، ط2، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية، والعلوم، والثقافة ،2015.

15)الجزار أحمد كامل: **المفاخر في معارف الأمير الجزائري عبد القادر، والسادة الأولياء الأكابر** مراجعة، وتقديم محمد زكي إبراهيم، ط1، مطبعة العمرانية للأوفست، الجيزة ،1997

16)جورجي زيدان: **تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر، ج1**، مؤسسة هنداوي للتعليم، والثقافة ،2012 م.

17)حسين محمد كامل: **طائفة الدروز تاريخها، وعقائدها**، د.ط، دار المعرف، مصر،1962.

18)ديدات أحمد: **خمسون ألف خطأ في الكتاب المقدس، وحوار البابا مع المسلمين**، تر رمضان الصفناوي، **المختار الإسلامي، د.ط، د.ت.**

19)رويش احمد: **في صحبة الأميرين**، أبي فراس الحمداني، وعبدالقادر الجزائري، ط1، الكويت مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري،2000.

20)رياض محمد: **الأصول العامة في الجغرافيا السياسية، والجيوبوليتيكا**، د.ط، مؤسسة هنداوي 2014.

21)سعد الله أبو القاسم: **الحركة الوطنية الجزائري، 1900.1830**، ج1، دار الغرب الجزائر، ط1 1992.

22)سعدالله فوزي: **يهود الجزائر هؤلاء المجهولون**، ط2، شركة دار الأمة، الجزائر،2004.

23)سعيدوني ناصر الدين: **الجزائر منطلقات، وآفاق، مقاربات للواقع الجزائري من خلال قضايا، ومفاهيم تاريخية**، د.ط، دار الغرب الإسلامي ،2000م.

24)ـــــــــــــــ: **عصر الأمير**، د.ط، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري الكويت ،2000م.

25)سماتي محفوظ: **الأمة الجزائرية نشأتها، وتطورها**، تر محمد الصغير بناني، وعبد العزيز بوشعيب المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر،2009.

26)السيد فؤاد صالح: **الأمير عبد القادر الجزائري، متصوفا، وشاعرا** د، ط1، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ،1985.

27)شرشال عبد القادر: **شخصية الأمير عبد القادر من منظور الآخر**، تر أشهر مؤلفات الأمير من قبل الباحث الفرنسي جوستاف دوجا، ط1، دار سفيان للنشر، والتوزيع ،2014م.

28)شنوف عيسى: **يهود الجزائر،2000 سنة من الو**جود، د.ط، دار المعرفة،2008.

29)طاش عبد القادر: **أزمة الحضارة الغربية، والبديل الإسلامي**، كتاب المختار، د.ط، د.ت

30)طه حمد: اتجاهات **معاصرة، وقضايا نقدية**، د ت، المجلس الوطني للثقافة، والفنون، والآداب الكويت، 2006.

31)عبد الرزاق بن السبع: الأمير **عبد القادر الجزائري وادبه**، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، د.ط.

32)عبد السلام جعفر: **المنظمات الدولية: دراسة فقهية، وتأصيلية للنظرية العامة للتنظيم الدولي، وللأمم المتحدة، والوكالات المتخصصة، والمنظمات الإقليمية**، ط06، دار النهضة العربية بيروت د.ت.

33)عبد القادر محمد الخير: **الإسلام، والغرب، دراسة في قضايا الفكر المعاصر**، ط1، دار الجيل بيروت، 1991.

34)عشراتي سليمان: **الأمير عبد القادر المفكر، مساجلات في قضايا اللغة، والمعرفة، والفقه، والخطاب القرآني**، ط3، دار الغرب،2009.

35)عمارة محمد: **التفسير الماركسي للإسلام**، ط1، دار الشروق،2002

36)عميراوي حميدة: **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث**، ط2، 1425هـ – 2002م.

37)ـــــــــــــ: من **الملتقيات التاريخية الجزائرية**، ط2، دار الهدى، الجزائر، م2006.

38)عودة خليل: **محاضرة، جدلية العلاقة بين الأنا، والآخر في سيناريو جاهز لمحمود درويش**، جامعة النجاح، د.ت.

39)الفارابي أبو نصر: **كتاب أراء أهل المدينة الفاضلة**، تقديم، وتعليق، ألبير نصري نادر، ط2، دار المشرق، بيروت، 2000.

40) فخري ماجد، أرسطاليس، **المعلم الأول**، د.ط، المطبعة الكاثوليكية، بيروت،1985.

41)فريمو جاك: **فرنسا، والإسلام من نابليون إلى ميتيران**، تر هاشم صالح، ط1، شركة الأرض للنشر،1991، قبرص.

42)كامل: محفوظ: **أعلام الفكر الفلسفي المعاصر**، ط1، دار الجيل، 1993.

43)كرم يوسف: **تاريخ الفلسفة الحديثة**، ط5، دار المعارف،1986

44)محمد مرا بركات: **الأمير عبد القادر، المجاهد الصوفي**، كلية التربية جامعة عين شمس، د.ط د.ت.

45) منشورات، وزارة المجاهدين: **الاستعمار، وزمن الحقيقة، قيم الاعتراف، والتواصل مع الآخر**، جمع، وتنسيق المركز الوطني للدراسات، والبحث في الحركة الوطنية، وثورة أول نوفمبر1954 ،02. 03 جويلية 2006، د.ط، الجزائر ،2007، ص125.

46)منور العربي: **تاريخ المقاومة الجزائرية في ال قرن19م**، د.ط، دار المعرفة، الجزائر،2006.

47)مهران محمد، ومدين محمد: **مقدمة في الفلسفة المعاصرة**، دار قباء للطباعة، والنسر، د.ط،2004، و1970، ط2، الشركة الوطنية للنشر، والتوزيع.

48)مؤسسة الأمير عبدالقادر: فرع وهران: **الأمير عبد القادر منبع الأصالة، رائد الحداثة**، د.ط المؤسسة الوطنية للمطبوعات ،2011.

49)مؤلف مجهول: **الميزة الذاتية للأمير عبد القادر، د.ط، مطبعة بريزمارين، برج البحري، 2013، ص ص 56-57.**

50)مياسي إبراهيم: **بحوث في التاريخ السياسي للجزائر المعاصرة**، د.ط، دار هومه، 2013.

51)ـــــــــــ: **روح الأمير عبد القادر، عبر المقاومة الجزائرية**، د.ط، دار هومة، الجزائر،2012 .

52)ـــــــــــ: **مقاربات في تاريخ ال جزائر1830 . 1962م**، ط3، دار هومه، الجزائر 2016 .

53)نصار ناصيف: **الفكر الواقعي عند ابن خلدون، تفسير تحليلي وجدلي لفكر ابن خلدون في بنيته، ومعناه**، دار الطليعة للطباعة، والنشر، بيروت، ط1 ،1981.

3.1. المجلات

1) . بلغراس عبد الوهاب: هل يعتبر الأمير عبد القادر مجددا فلسفيا، وصوفيا؟، في **مجلة المواقف للبحوث، والدراسات في المجتمع، والتاريخ**، ع05، ديسمبر2010.

2). بوطارن محمد الهادي: التواصل الثقافي بين الجزائر، والمشرق العربي خلال عهد الأمير عبد القادر في **مجلة الباحث**، ع6، جانفي . جوان 2012.

3)جبابلة عمار: الحماية الخاصة للنساء المدنيات في القانون الدولي الإنساني، في **مجلة البحوث، والدراسات**، ع 23، جامعة الشهيد حمى لخضر الوادي،24 شتاء2017 م.

4)حلفوفة محمد الأمين بو، وبن عمار إبراهيم: قراءة في أسس الحكم الراشد في دولة الأمير عبد القادر، في **مجلة الحقيقة** جامعة وهران، ع37، أفريل2016.

5)الحيدري عبد الأمير هويدي: الأمير عبد القادر الجزائري، ودوره السياسي، والعسكري، في **مجلة جامعة بابل العلوم الإنسانية**، العراق، مج17، ع6، 2009.

6)خليفي بشير: الفلسفة الأخلاقية عند الأمير عبد القادر الجزائري، في **مجلة المواقع** رقم09 ديسمبر2014، جامعة معسكر.

7)خيربك شرى: دراسة لبعض مغالطات المصادر التاريخية، وتناقضاتها تحفة الزائر، ومآثر الأمير عبد القادر، وأخبار الجزائر نموذجا للدراسة في **مجلة دراسات تاريخية** ع17، جامعة دمشق .18، كانون الثاني حزيران،2012.

8)دوحة عبد القادر: بصمات الأمير عبد القادر الجزائري في القانون الدولي الإنساني، في **مجلة الحوار لمتوسطي**، 2016.

9)شرف عبد الحق: كتابات العربي المشرفي الجزائري ال متوفي1895، مصدر من مصادر تاريخ الجزائر خلال ال قرن19، في **مجلة آفاق للعلوم**، جامعة الجلفة، ع10، جانفي2018.

10) لوت زينب: أقاليم الروح في التصوف الإبداعي، والإبداع الصوفي عند الأمير عبد القادر، في **مجلة مقاليد**، ع09، ديسمبر2015، جامعة عبد الحميد ابن باديس، مستغانم.

11) مولاي ناجم: مفهوم الإنسان الكامل في الفكر الصوفي، في **مجلة العلوم الإنسانية، والاجتماعية** ع7، جامعة عمار ثليجي، الأغواط، جانفي 2012.

4.1- المحاضرات

1) عودة خليل: **محاضرة جدلية في العلاقة بين الأنا، والآخر في سيناريو جاهز لمحمود درويش،** جامعة النجاح.

5.1- الرسائل الجامعية

1) أبو سمعان محمد عطا محمد: **منزلة الإنسان، ووجوده في المذاهب الفكرية المعاصرة، دراسة نقدية في ضوء الإسلام**، رسالة ماجيستر في العقيدة، والمذاهب، والمعاصرة، قسم العقيدة، والمذاهب المعاصرة، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية، غزة، 2011.

2) بقبق الزهرة: **الأمير عبد القادر في الاسر،1849.1852م**، رسالة لنيل شهادة الماجيستر في تاريخ الجزائر الحديث المعاصر، جامعة وهران كلية العلوم الإنسانية، والحضارة الإسلامية، معهد التاريخ،2009. 2010.

3) بكاي لخضر: دراسة **لموقع تازابرج الأمير عبد القادر، من خلال المصادر التاريخية، والأبحاث الأثرية**، رسالة لنيل شهادة الماجيستر في الأثار الإسلامية، جامعة الجزائر، معهد الاثار،2005. 2006.

4) بلعيش فاطمة: حماية **أسرى الحرب في القانون الدولي الإنساني**، مذكرة لنيل شهادة الماجيستر في القانون الدولي العام، جامعة حسيبة بن بوعلي، كلية العلوم القانونية، والإدارية، الشلف،2007 .2008.

5) بن سعاد عائشة: **البعد الروحي لمقاومة الأمير عبد القادر**، مذكرة لنيل شهادة الماجيستر في التاريخ الحديث، والمعاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية، والاجتماعية، جامعة الجزائر ،2003. 2004.

6) بوراس سمية: **أسرة الأمير عبد القادر في المشرق بين السياسة العثمانية، والسياسة الفرنسة،** مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغاربة الحديث، والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية، والاجتماعية، جامعة قسنطينة2، 2014 2015.

7) التل أروى طارق: **ملامح الطبيعة الإنسانية في القرآن الكريم،** بحث مقدم من أجل استكمال متطلبات الحصول على شهادة الماجيستر في الآداب، قسم اللغة العربية، جامعة جنوب إفريقيا سبتمبر2004.

8) حباش فاطمة: **المكاتب العربية، ودورها في المد الاستعماري بالغرب الجزائري 1844. 1870 تيارت،** سعيدة جيريفيل، البيض نماذج، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث، والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية، والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ، وعلم الآثار، جامعة وهران 2013 2014.

9) حمو فرعون: **فلسفة الاختلاف عند الأمير عبد القادر، الجزائري، دراسة أنثروبولوجية،** مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجيستر في الأنثروبولوجيا، قسم الأنثروبولوجيا، كلية العلوم الإنسانية، والعلوم الاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان.

10)سلاماني عبد القادر: **الاستراتيجية الفرنسية لإجهاض مشروع الدولة الجزائرية الحديثة،1832. 1847م،** رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجيستر في تاريخ الجزائر الحديث، والمعاصر، جامعة وهران كلية العلوم الإنسانية، والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ، وعلم الأثار،2008 2009م

11)سلطانة عابد: **التراتبية الاجتماعية ببايلك الغرب، وأثرها على مقاومة الأمير عبد القادر 1832. 1847،** مقاربة مونوغرافية لمجتمع الخلافة الشرقية، مذكرة دكتوراه قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية جامعة وهران.

12)فاكية سكني: **التنمية الإنسانية المستدامة، وحقوق الإنسان،** مذكرة لنيل شهادة الماجيستر في القانون العام، جامعة فرحات عباس، كلية الحقوق، سطيف، 2009 2010.

6.1- الموسوعات، والمعاجم:

1) بدوي عبد الرحمان: **موسوعة الفلسفة،** ج1، ط 1، 1984، المؤسسة العربية للدراسات، والنشر بيروت.

2) صليبيا جميل: **المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية، والفرنسية، والإنجليزية، واللاتينية،** ج2، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، د.ط 1982.

2- بالفرنسية

1.2- المصادر

1) **A, V, Dinesen:** Abd elkader et les relations entr les français et les arabes en Afrique du nord**, trad fondation Emir Abdelkader.**s. éd, Editions Anep, Ruiba ,2001.
2) Alex Bellmere: **abdelkader, savie politique et militaire,** librarie de L. hachetteet cie. paris,1863.
3) Dinesen A, V: Abd **elkader et les relations entr les français et les arabes en Afrique du nord**, traduction fondation Emir
4) Léon roches: **trente-deux ans a travers l'islam, 1832-1864**, t1, éd 1884, librairie de firmin-didot et C^{te}, imprimeurs de l'institut Paris
5) rousset Camille, l'algérie de 1830 _1840: les **commencements d'une conquete, librairie plon, paris,1887**,2èmeedition.

-George,Yver: correspandance **du capitaine dumas consul à mascara ،1837_1839 ،**imprimeur,libraire de l'université,place du gouvernement,p1912

2.2- المراجع

1) ——————:**de l'emir abdelkader àl'mam chamyl, le hèros des thèchèns et du caucase**, s. éd, enag edition, Alger,2009.
2) Azan, P: **cahiers du centenaire, de l'algérie**, g1, publications du comité métropole, de centenaire de l'algérie, paris, 1931
3) Baylik Tamini, A: **Constantine et Hadj Ahmed 1831_1837**, s. éd, Tunes,1978.
4) Benchanan Mehdi: **l'émir abdelkader fac à la conquète francaise de l'algerie 1832_1847,** edilivre, sed.
5) Bessaih Boulem: **De Luis philipe à Napoléon3**, L'Emir **Abdelkader, Vancu mais triomphe**, Editions ANEP, Ruiba ,2010.
6) Farah Abdelaziz**:** le **temps d'unes halte, recontre avec l'Emir Abdelkader, s**. éd.
7) Horn **-**Alistair: histoir **de la guerre d'Algerie,** trad, Yves du Guerny en collaboration avec Philippe Bourdrel,4éme éd, Dahlan, ALGERIE.
8) Ismail: **Hamet. Les musulmans francais du nord**, librairieie armand colin,1906.
9) Kaddour M'hamsadji : **La jeunesse de L'Amir Abd el Kadr**, s.éd. Office des publication universitaires, Alger,2009.
10) Kateb Yacin, **abdelkader et l'independance algerienne**,2009, enag.
11) -Réveilé De Beaurgarde**: Voissile ou La captive chrétienne ,2 ed,** Imprimerie saint Joseph, Marseille.
12) Robert Djian: **les juifs D'algérie,** de1800 au decret Crémieux, l'echo, des carriére, n80.

3.2- المجلات

1) Ait Dahmane **-** Karima: Catégorisation et stéréotypisation de l'altérité dans lediscours de conquète1830_1847, in **Insanyat, n** 37, juillet_septembre,2007, Alger.

2) Bariza Khiari; la symbolique de la moubay'a chez l'Emir Abdelkader, question de sémantique, in **la revue de la mémoire d'algérie**, n02, juin2012, l'algerie.
3) Besnaci - Mohamed : L'image de l'Emir Abdelkader chez les auteurs français,in **Ruvue, n22**, Université Lumière, Lyon.

4.2– الملتقيات

1) Abou' Elkacim Delal : **Le comportement humanitaire de l'Emire de Abdelkader et naissance du droit international humanitaire.** Cours, l'Enssep, Alger**.**
2) Bouyrdèn Ahmed : **l'Amir Abdelkader et l'occident, leçon d'un dialoque des civilisationd'hier aujourdh'hui**, colloque acadiémique, centre d'archive, Montréal,11, nouvembre-
3) Dalil Boubakeur : **Abdelkader musulman et franc maçon : extrait du colloque, grande mosquée**, Paris ,14mai,2011.
4) El Jazzairi Idriss : **Itineraire d'un homme universel**, Colloque d'Abdelkader, Université de Pau,8 nouvembre2013.
5) Maldji Zohra : **conférence à Bourges**, le24 mai 2013
6) Meyni Gilbert: **L'historiographie Française de l'algerie et les algérien en systeme colonial**. Intervention à alger le 22/10/2010.

5.2. الموسوعات والمعاجم

Reda Youssof, M : dictionnaire francais_arab, détaillé et illustré, sed, librairie du liban publishers,2005

3. باللغة الانجليزية

1)Timothy Mason Roberts: the **role of French Algeria in American expansion duringthe early republic**, the journal of the western society for french history, s.d.

4. مواقع الأنترنت

1) سعد الله أبو القاسم: هل كان الأمير عبد القادر حداثيا، منشور على موقع جريدة الشروق الجزائرية:

http://www.echoroukonline.com/ara/rticle /30207 .html

2) ملاح عبد القادر: الأمير عبد القادر بين الإنسانية، والروحانية، مجلة الكلمة، ع ،66، 2010:

http://www.kalema.net.

3) صالح بن أحمد الشامي: الإنسان في العالم القديم عن اليونان، مقال ،2017/11/11.

http://www.alukah.net/culturealterite_islamoccidant.htm/www.aljabriabd.net//http.

4) https://www.echoroukonline.com/ara/articles

5) صوان محمد شعبان: حوادث الشام في أواخر أيام الخلافة العثمانية، مقال منشور على موقع تركيا:

https://www.turkey-post.net/p-39241

6) tps://WWW.icrc.org;/ara/war–and–law/treities–cumastory-law/genevaconvention/overview– genevaconventio. htmaà

7) unesco.dz/index.php/ar/sciences sociale- et-humaines/48.

8) البيان الصحفي المنشور على موقع جنة العارف:

www.djanatualarifi.net.

9) وحدة بحث الأمير عبد القادر لحقوق الإنسان وثقافة السلام: سلسلة ندوات علمية في حقوق الإنسان وثقافة على موقع:

http:/www.independent.co.uk/voice/manchester_attak_muslim_islam_true_meaning_a7754901.html./13/03/2018،15 het 20 m/

الفهرس

الإهداء .....
شكر .....
لائحة الرموز والمختصرات .....
مقدمة .... أ

الفصل الأول

نبذة عن حياة وشخصية الأمير عبد القادر 7

1. محطات مهمة من حياة الأمير قبل مبايعته بإمارة الجهاد: 8

أ. ولادته: 8

ب- نشأته وتربيته: 9

ج- حجه وزيارته بلاد المشرق: 11

2. خلفياته الدينية والثقافية: 14

أ. الجينيالوجيا 14

ب. نشأته العلمية والروحية: 15

3. مميزاته الشخصية: 19

أ- دهاؤه وفطنته: 19

ب- شجاعته: 21

ج- نزعته الروحانية: 24

د- عقلانيته: 24

ه- واقعيته: 26

4. خبرته في الحرب: 30

أ- مبايعته: 30

ب- مهارته السياسية والعسكرية: 32

ج- نهاية مقاومته: 34

استنتاج: 38

الفصل الثاني

فلسفة الإنسان والإنسانية في منظور الأمير عبد القادر 39

1. السياق المفهومي للإنسان والإنسانية: 40

أ- مفهوم الإنسان لغة: 40

ب- عند فلاسفة الإسلام: 41

ج- المذاهب الفلسفية ورؤيتها للإنسان: 42

2. مكانة ودور الإنسان في منظور الأمير عبد القادر: 46

أ- مفهوم الإنسان لدى الأمير: 46

ب- دعوته إلى إعمال العقل: 48

ج- شرف العلم 49

3. المدينة الإنسانية بين الروح والعقل: 50

أ- الروح: 50

ب- العقل: 51

ج- النفس: 52

4. الذات الأميرية والنظرة إلى الآخر 54

أ- صورة الأنى الإيجابية في كتابات الأمير عبد القادر: 55

ب- اليهود والمسيحيين في فكر وكتابات الأمير عبد القادر: 58

ج- ضمير نحن عند الأمير في مخاطبة الآخر: 60

استنتاج: 68

الفصل الثالث

تجليات الإنسانية الأميرية ومواقف الآخر منها 69

1. معاملة الأسرى واليهود والزعامات المحلية: 70

أ- حماية الوفود واحترام العهود: 70

ب- معاملة الأسرى: 72

ج- معاملته لليهود، والمسيحيين: 76

د- خصوم الداخل: 84

2. أخلقة الحرب وتدوين القانون الدولي الإنساني عند الأمير: 90

أ- مفهوم الحرب عند الأمير عبد القادر: 90

ب- الأمير، وتدوين القانون الدولي الإنساني: 93

ج- الأمير رمز الأخوة والحوار والانفتاح على الغرب: 98

3. إنسانيته في كتابات الآخر: 102

أ- في الكتابات الجزائرية المحلية: 102

ب- في الكتابات الفرنسية: 106

ج- شواهد على عالمية الأمير عبد القادر اليوم: 111

استنتاج: 114

خاتمة 116

الملاحق .....

المصادر والمراجع: .....

الفهارس .....

الفهرس .....

ملخص: .....

ملخص:

الأمير عبد القادر الجزائري، والبعد الإنساني لشخصيته 1832–1883.

تهدف هذه الدراسة الموسومة ب: " الأمير عبدالقادر، والبعد الإنساني في شخصيته 1832. 1883 لتسليط الضوء على جانب مهم من حياته ، وشخصيته التي غلب عليها الطابع الإنساني في مواجهة الهمجية، والوحشية الفرنسية، وإبراز القيم، والمبادئ السمحة النابعة من أصالته العربية، والإسلامية ،متوغلين في عالمي روحانيته، وإنسانيته، وما قام به من إسهامات خالدة مازال التاريخ يشهد لها اليوم ، ويصنفها ضمن الشخصيات العظيمة، والعبقرية ذات البعد العالمي، تجاوزت باعتدال مسألة الصراع بين الأنا، والآخر لتحولها إلى حوار بين الأنا، والأخر.

ملخص بالفرنسية:

Le Prince Abdul Qadir algérien et la dimension humaine de sa personnalité 1832-1883

Le but de cette étude est: "Le Prince Abdul Qadir et la dimension humaine de sa personnalité 1832-1883 pour eclairer un aspect important de sa vie et sa personnalité humaine face à la barbarie et à la brutalité française ،et souligner ses nobles valeurs et ses principes émanant de son origine arabe et islamique. Ainsi que ses contributions immortelles que l'histoire a reconnues aujourd'hui et l'aclassifie parmi les grandes personnalités et le génie de la dimension mondiale Qui ont modérément dépassé le conflit entre le mois et l'autre pour en faire un dialogue entre le mois et l'autre.

ملخص بالإنجليزية

Amir Abdelkader and humanity dimension of his personality 1832_1883

Amir Abdelkader and humanity dimension of his personality 1832_1883. To shed light in the importance side from his life and his

personality which full by humanity to carsick the french savageness and appears his good value which is coming from Arabic and Islamic society. In addition ‹he performs by volunteering ‹till now he is an ideal in the history of Algeria and the world. Moreover ‹he is from the greatest persons.

Nd his personality it became as a fight to change it as a dialogu